

رواية المليونير والفقير

رمان المليونير

وكسر الأرهباب



www.helmelarab.net

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - الأسير ..

« لقد سقط (أدهم صبرى) ..

نطق (بانشو سيلازر) ، الإرهائى المكسيكى العالمى ، بتلك العبارة فى تشف ، وعيناه تتألقان ظفراً وقوة ، وهو يتطلع إلى أسيرته (منى توفيق) ، التى انتفض جسدها فى فزع ، وحذقت فى وجهه فى دهشة وخزع واستكار ، قبل أن تهتف محتدة :

— أنت كاذب .. ليس من السهل أن يسقط (أدهم) .

أجابها فى تشف :

— ولكنه سقط .

انكمشت فوق فراشها الصغير ، داخل تلك الحجرة التى سجنها فيها (بانشو) ، وقلبها يخفق بين ضلوعها فى لوعة ، وعقلها يرفض تصديق العبارة ، فى حين لوح (بانشو) بكفه ، واستطرد مزهواً :

— لقد أعماه الغرور ، وخدعته ثقته الزائدة بنفسه ،

فهاجم معسكر (أنزيو) ، وبعد تبادل إطلاق نيران قصير ،
حاول الفرار بواسطة دراجة بخارية ، فارتطم بالسور
المكهرب ، وفقد الوعي .

غمغمت في ارتياح :

— مستحيل !

كان ذعرها يزيد من (هُو) (بانشو) واستماته ،
وإحساسه بالنصر والظفر ، مما جعل أوداجه تنتفخ ، وهو
يتابع في إيقاع رثان :

— إنه مجرد بشر ، وكل البشر يسقطون ، وأنا أنتظر وصول
سينور (ألفريدو) ، طيارى الأمريكى الخاص ، لأنطلق
بالهليكوبتر إلى معسكر (أنزيو) ، وأفوز بشيطانك المصرى .
شعر بالسعادة ، وارتوت ساديته ، لمزأى تلك الدموع ،
التي قاومت طويلاً في مقتلها ، ثم انهارت على وجتها ، وعاد
يلوح بكفه ، مستطرذا في فخر :

— المهم أن أجده حياً عندما أصل ، فلن يروق لي أن أمنحك
جنة هامدة فحسب .. أليس كذلك ؟

أطلق ضحكة شيطانية عالية ، بعد هذه العبارة ، ثم غادر
سجنها الصغير مندفعاً كعادته ، وأغلق بابه خلفه في غنف ،

تاركاً إياها منكشمة في فراشها ، زالفة العينين ، تردّد في خار
أشبه بالانبيار :

— مستحيل أن تأتى نهاية (أدهم) هكذا .. إنه سينجو
منهم بإذن الله .. سينجو ..

ثم انخرطت في بكاء حار ، وعقلها يسترجع القصة كلها ..
ومنذ البداية ..

كانت البداية صفقة ..

صفقة بين (بانشو سيلازر) ، الذى سرق — بمعاونة عالم
أمريكى خائن ، في هيئة الطاقة الذرية — أسرار وتصميمات
قابل ذرية جديدة ، أنتجها الأمريكيون ، وجعلوها محدودة
المدى ، بحيث لا يتجاوز نطاق تفجيرها حدوداً معقولة ، ولا
تنتشر بعدها الإشعاعات الذرية ، إلا لمدى صغير ، وفرة
ضئيلة للغاية ، وبين رجال (الموساد) ، الذين رأوا أن ذلك
السلح هو أفضل ما يحصل عليه شعبهم ، ليضمن التفوق الدائم
على العرب ، أو حتى إبادتهم ، دون خوف من انتشار إشعاعات
ذرية تمتد إليهم أنفسهم ..

وطلب (بانشو) مليار دولار ثمناً للصفقة ، وأمهل رجال
(الموساد) أسبوعاً واحداً ، لتدبير المبلغ ، وإنهاء الصفقة ..

ولكن المخابرات المصرية علمت بالأمر ، وأرسلت أقوى
فريق لها ..

(أدهم) و (منى) ..

ولمور وصول (أدهم) و (منى) إلى (مكسيكو) ،
بمهمة محدودة ، ألا وهي التفاوض مع (بانشو) للحصول على
الصفقة ، بدلاً من (الموساد) ، أو العمل على ألا يراها أحد ،
كشف (بانشو) حقيقة (أدهم) ، بواسطة كمبيوتر خاص ،
وملفات حصل عليها من (الموساد) ..

وبدأت المعركة مع اللحظات الأولى ..

ونسف (أدهم) متجراً للسيارات المستعملة ، وانطلق غزير
صحراء (المسكيك) في أشرس حرب صحراوية ، بينه وبين
جيش (بانشو سيلازر) ..

وواجه (أدهم) رجالاً بمدافعهم الآلية ..

ودبابات ..

وطائرة هليكوبتر حربية ..

وصواريخ ..

وجيش من راكبي الدراجات البخارية ، يبلغ مائة رجل ..
وراج (أدهم) يتنقل من نصر إلى نصر ..

وتحطم الرجال ، وانهارت الدبابات ، وتُسفت الدراجات
البخارية ..

رجل واحد هزم جيشاً بكل كتائبه ..

ثم نجح (بانشو) في أسر (منى) ، وطالب (أدهم)
بالاستسلام ، إلا أن هذا الأخير — مدركاً لنقل المسئولية على
كاهليه — رفض الاستسلام رفضاً تاماً ، وهدد (بانشو)
بالويل والثبور ، وعظائم الأمور ، لو أنه من شعرة واحدة من
رأس (منى) ، فما كان من الإرهائي إلا أن عقد مع (أدهم)
صفقة جديدة ..

صفقة موت ..

لقد رآه على أن يمنحه ثلاثة أيام للوصول إلى وكره
السري ، وإنقاذ (منى) ، وإلا فإنه سيقنلها بلا رحمة ..
وكان على (أدهم) أن يقاتل للفوز بهذه الصفقة اللعينة ..

من أجل (منى) ..

ومن أجل الوطن ..

وفي نفس الوقت ، كان هناك رجلان من (الموساد) ،
(إفرايم) و (جوليات) ، يسعيان لإتمام الصفقة مع
(بانشو) ، ويسعيان في الوقت ذاته للتخلص من (أدهم) ،
بعد أن علما أنه خلف الصفقة مثلهما ..

وبدأت حرب ضروس ..

كل يسمى لنيل الآخر ، والفوز بالصفقة في نفس الوقت ..
وفي نفس الليلة ، التي حدث فيها كل هذا ، هاجم (أدهم)
معسكر رجال (أنزيو) ، زعيم راكبي الدراجات البخارية ..
وكان ما ذكره (بانشو) ..
وسقط (رجل المستحيل) (*) .

* * *

كانت دؤامة عنيفة قاسية ، عميقة ، مظلمة ، تلك التي
سقط فيها جسد (أدهم) ، عندما ارتطم بالحاجز المكهرب ،
ولقد راح يهرى فيها طويلاً ، قبل أن يغادرها بغتة ، فيتلاشى
الظلام ، ويتوقف الدوران ، ويبدو صوت وكأنه قادم من
أغوار سحيقة ، يقول :

— لقد استعدت وغيك بسرعة مذهشة .. إنك قوى البنية
بحق .

راح عقل (أدهم) يستعيد صفاءه في سرعة ، فميز صاحب
الصوت ، وأمكنه — على الرغم من الصداع الذي يشعر به —

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين الأول والثاني ، (صحراء
الدم) ، (صفقة الموت) .. المغامرتين رقم (٧٨) و (٧٩) .

من أن يفتح عينيه ، ويتطلع إلى وجهه ، ثم يتسم في سُخرية ،
مغمغماً :

— عجباً !! .. إنه الجحيم بلا شك ، فهذه الوجوه القبيحة
لا توجد إلا هناك .

عقد (أنزيو) حاجبيه ، وقال في توثر :
وتملك القدرة على المزاح أيضاً ، في مثل موقفك .. هذا مثير
للاهتمام حقاً .

احتفظ (أدهم) بابتسامته الساخرة على شففيه ، في حين
راح عقله يعمل على تقدير موقفه في سرعة خرافية كالاعتاد ..
لقد كان مقيد المعصمين إلى سقف ذلك الكوخ الخشبي
الصغير ، ويتدلى منه كذبيحة بلا إرادة ، وأمامه يقف
(أنزيو) ، حاملاً مدفعاً آلياً في تراح ، وخلفه ثماناً باب
الكوخ ، في حين كان هناك ثلاثة آخرون ، يحملون المدافع
الآلية ، ويصوبونها إلى (أدهم) في غضب واضح ، ومن خلف
(أنزيو) ، وغبر باب الكوخ ، كانت البقية الباقية من
الدراجات البخارية تبدو واضحة ، وحولها رجالان للحراسة ،
فغمغم (أدهم) ساخراً :

— لقد وغدت بقتلي أيها الوغد ، فلم لم تف بوغدك بعد ؟

هز (أنزيو) كفيه ، وقال :

— لا داعي للعجلة أيها المصري .. إنك الآن بين أيدينا ،
وسأقتلك عندما يحلولى .

وانعقد حاجباه فى شراسة ، وهو يستطرد :

— وعندما تتوسل لى أنت أن أفعل .

قال (أدهم) ساخرًا :

— أتعنى أنك لن تقتلى أبدًا .. شكرًا لكرم الأوغاد هذا .

كتم (أنزيو) غيظه وخنقه ، وهو يقول :

— من قال إننى لن أفعل يارجل ؟ .. أراهنك أنك أنت

ستوسل لى أن أقتلك ، بعد أن تعلم ما سأفعله بك .

قال (أدهم) متهمًا :

— أراهن أنك ستلقينى للتعابين .

هتف (أنزيو) :

— لن يبدو هذا عقابًا مثاليًا .

وبرقت عيناه فى وحشية ، وهو يلوح بذراعيه ، مستطردًا

فى حدة :

— إننا نحفظ هنا بثلاثة من ذئاب الصحراء الجائعة أيما

المصرى ، وأنت لا تعلم كيف تختلف الذئاب المكسيكية عن

غيرها من الذئاب .. إن ذئابنا تشبهنا يارجل .. إنها قوية ..

شرسة ، حادة الأنياب وانخالب ، وهى تلتهم فرائسها حية ،
وبلا رحمة .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

— ياله من مشهد هزلى !!

أخنقت سُخريته (أنزيو) ، فهتف فى توثر :

— إننا لن نلقيك إلى الذئاب فحسب ، فنحن نحترم ذئابنا

ونحبها .. إننا سنشوى قدميك أولًا ، ونبتز يديك ، وبعدها

نلقيك داخل قفص الذئاب ، و

قاطعه أحد رجاله ، وهو يندفع إلى المكان ، هاتفًا :

— سنيور .. هيلوكوتر سنيور (بانشو) تقترب .

برقت عينا (أنزيو) ، ثم هتف فى حدة :

— لا .. لن يتزع (بانشو) فريستا .

ثم التفت إلى أحد رجاله ، مستطردًا فى صرامة :

— ستلقيه للذئاب قبل أن تحط طائرة (بانشو) فى أرضنا ..

هيًا يارجل .. قُم بِشئٍ قدميه .

وعلى الفور ، أشعل الرجل مشعله ، واتجه فى حزم نحو

(أدهم) ..

ولم يكن هناك أمل فى الفرار ..

ولم تكن هناك وسيلة ..

٢ — البقية الباقية ..

ظلّ (جوليات) يهيمهم بوضع كلمات غامضة ، طيلة الطريق إلى (مكسيكو) ، ولم يكذب عبّر حدود العاصمة المكسيكية ، حتى بدا وكأن صدره لم يغدّ يحتمل ما يحيش به ، فهتف في خنق :

— ستفسد العملية كلها ، بسبب ذلك الوغد (بانشو) .

عقد (إفرايم) حاجبيه ، وهو يقول في توثر :

— لم يفسد أى شيء بعد يارجل .. إن (أدهم صبرى)

يسمى للصفقة مثلنا ، وكلّ ما ينشده هذا الوغد (بانشو) ، هو الفخر والزهو بأنه الرجل الذى قضى على أخطر رجل مخابرات في العالم ، ولكن هذا لن يدفعه للتخلّى عن مليار دولار .

هتف (جوليات) في خنق :

— ألم تسمعه يقول إن المصريين قد عرضوا عليه مليارين ؟

لوح (إفرايم) بذراعه ، هاتفا في جحّة :

— هراء .. أنت تعلم أن حكومتنا قد اضطرت لحفض

ميزانية دولتنا كلها ، تفتح هذا الوغد مليارا من الدولارات ، لأنها تعلم أننا نملك مفاعلا ذريّا في (ديمونة) ، يمكننا من صنع تلك القنابل الذرية المخلدودة . ولكن المصريين يعانون عجزا في موازناتهم المالية ، ولا يملكون مفاعلات ذرية حتى الآن ، فكيف يمكنهم شراء الصفقة .

غمغم (جوليات) ، ولم تزايله نوبة الحنق بعد :

— لو أننى في موضعهم ، لأقدمت على الفوز بالصفقة ،

مهما كانت التضحيات ، حتى نحرم نحن منها على الأقل .

هتف (إفرايم) :

— لن تكون هناك فائدة من ذلك ، فحتى لو منحهم

(بانشو) التصميمات ، مقابل مليارين من الدولارات ،

فكيف يضمنون أنه لن يبيعنا نسخة أخرى منها ، مقابل مليار

آخر ؟

ثم التفت إلى زميله ، مستطرذا في حزم :

— ثق بى يارجل .. المصريون لا يستهدفون من المساومة

سوى الخداع فحسب ، أمّا غرضهم الحقيقى ، فهو تدمير

التصميمات تماما ، وهذا الغيبى (بانشو) يجهل ذلك .

غمغم (جوليات) في خنق ، وهو يوقف السيارة أمام ذلك

الفندق ، الذى يقيمان فيه في (مكسيكو) :

— غياؤه هذا قد يتسبب في أن يصل إليه (أدهم صبرى) ،
 ويتنزع منه الصفة كلها ، ونحسر نحن كل شيء .
 عقد (إفرايم) حاجيه ، وهو يقول :
 — لو أنك تقصد دولتنا ، بعبارة " نحسر نحن كل شيء " ،
 فأنت على حق ، في حالة ما إذا نجح ذلك الشيطان المصرى ،
 فيما فشلت فيه مخابراتنا كلها ، وأغنى في التوصل إلى مخبر
 (بانشو) ، والفوز بالصفة ، أما لو أنك تقصدنى أنا وأنت
 بالعبارة ، فأنت مخطئ ، فحتى لو خسرت دولتنا كل شيء ،
 فسنفوز نحن بالمال على الأقل .

غمغم (جوليات) في توثر ، وهو يغادر السيارة :
 — هذا لو سارت لحططنا على ما يرام .

ابتسم (إفرايم) ، وقال وهو يغادر السيارة بدوره :
 — ستسير كما خططنا لها يا رجل .. اطمئن .

توقف (جوليات) ، وهو يقول في حق :

— اطمئن !؟ كيف تطالبنى بالاطمئنان ، ونحن نجلس

هنا ، لا نملك ما نفعله ، على الرغم من أننا نحمل أوامر صريحة
 بضرورة البحث عن (أدهم صبرى) ، وتصفيته ؟

حافظ (إفرايم) على ابتسامته الهادئة الواثقة ، وهو يقول :

— هذا هو الذكاء وحسن تقدير الأمور يا رجل .. صحيح
 أننا لا نملك ما نفعله ، ولكن (بانشو) وجيشه كله يعملون
 من أجلنا ، فهم يطاردون ذلك الشيطان المصرى ، ويدلون
 أقصى جهدهم لاصطياده ، وهم إما أن ينجحوا ، فيوفرون لنا
 كل الجهد ، وإما أن يفشلوا ، بعد أن ينهكوا قواهم ، فنجده نحن
 لقمة سائغة .. اطمئن يا رجل .. لن يفلت (أدهم صبرى) من
 الفخ هذه المرة .. أبداً ..

يقول رجال اغابرات المصرية ، ممن يعرفون (أدهم
 صبرى) ، إن أكثر ما يميزه هو أنه يملك قلباً لا يعرف الخوف ،
 وعقلاً يعمل بسرعة صاروخ ، وأطرافاً تستجيب للأفكار ، قبل
 أن يعلم بها المخ نفسه ..

وربما كانوا يبالغون قليلاً ..

أو يتواضعون ..

فلنترك الحكم على هذا (أنزوى) ورجاله ، فلم يكذب ذلك
 الرجل منهم يتقدم نحو (أدهم) ، حاملاً مشعله ، حتى ارتفعت
 قدما (أدهم) في سرعة البرق ، وأحاطا بعنق (أنزوى) ، الذى
 شهق من فزط المفاجأة ، ولكنه لم يملك أن يفعل غير ذلك ،



ثم طُوح به دون أن يتركه ، فضرب به أحد الرجال الثلاثة المسلحين ..

إذ انزعته قدما (أدهم) من الأرض انزاعًا ، وحولته إلى مقلع ..

وتشبث (أدهم) بالحبل الذى يربطه إلى السقف ، وأمسكه بقبضته في قوة ، وانزع (أنزيو) من مكانه ، ثم طُوح به دون أن يتركه ، فضرب به أحد الرجال الثلاثة المسلحين ، ثم دار به مرة ثانية ، وضرب به آخر ..

ولم يحتمل الحبل ثقل الرجلين معًا ، أو بمعنى أدق ، لم يحتملها ذلك القام الحشيشى في سقف الكوخ ، الذى تعلّق به الحبل ، فانكسر ، وسقط ..

وهبط (أدهم) أرضًا ، وترك جسد (أنزيو) يرتطم بالأرض في غنغ ، وحزّر هو قدميه منه ، ثم دار على غقبه في سرعة مذهلة ، وركل المدفع الآلى ، الذى يصوبه له رجل (أنزيو) الثالث ، ثم قفز يلتقطه في الهواء ، بمعصميه اللذين مازال الحبل يحيط بهما ، و

وأطلق النار ..

وأثارت الرصاصات جنون رجال (أنزيو) ، فاندفع حارسا الدراجات البخارية ، يحاولان اقتحام الكوخ ، إلا أن رصاصات (أدهم) أردتهما قتيلين ، قبل أن تقفز قدمه إلى فك

(أنزيو) في ركله قويّة ، ألقت الرجل في عالم اللاوعى حتى النخاع ..

وبسرعة رائعة ، راح (أدهم) يحل قيده ، وهو يقول في سُخرية :

— نصيحة أيها الوغد .. عندما تعود إلى وعيك ، لا تظمن أبداً إلى هزيمة خصمك ، إلا بعد أن تقتله .

ألقي القيود جانباً في قوّة ، وحل المدفع الآلي مرّة أخرى ، يصدّ به هجوم رجال (أنزيو) ، الذين أصابهم الجنون هذه المرّة ، فراحوا يحطرون الكوخ بالرصاصات بلا تمييز ..

ول براعة ، التقط (أدهم) قبلة يدويّة من حزام أحد رجال (أنزيو) الذين أفقدهم الوعى ، وألقاها نحو المهاجمين ، ثم التقط قبليتين آخرين ، وهو يهتف :

— معذرة أيها الأوغاد .. لست مستعداً لقضاء سهرتي بكنكم الليلة .

وانطلق خارج الكوخ ، وهو يطلق رصاصات المدفع الآلي في غزارة ، وعلى نحو بثّ الرعب في قلوب الرجال ، فراحوا يتراجعون أمامه في هلع ، ويحاولون إصابته بنيرانهم ، كما يصيب هو أهدافه بنيرانه في تفوّق ، حتى راوه يقفز بمنطية دراجة بخارية ، فهتف أحدهم :

— احترسوا يا رجال .. إنه سيفلت منكم .

بلغ هذا الهتاف مسماع (بانشو) ، وهو يتابع ما يحدث من الهلوكوبتر ، التي راحت تحلق فوق المعسكر المشتعل ، دون أن يجرؤ قائدتها (ألفريدو) على الهبوط وسط المعمة ، فهتف (بانشو) في خنق :

— أطلق عليه النار يا (ألفريدو) .. اقتله قبل أن يفرّ . هتف (ألفريدو) من بين أسنانه في توثر :

— اللعنة يا رجل .. إننا نركب هليوكوبتر عادية ، وليس مقاتلة نفالة .

عضّ (بانشو) شفتيه في قهر ، وهو يراقب الموقف ، حيث انطلق (أدهم) بالدراجة البخارية نحو السور المكهرب ، ورصاصات البقية الباقية من رجال (بانشو) تنال عليه كال مطر ، قبل أن يلقى هو قبليته نحو هدفين اختارهما في دقة يحسد عليها ..

ألقي قبلة على المولد الكهربائي ، وأخرى نحو السور .. ول لحظة واحدة ، انفجرت القنبلتان ، وانفجر المولد الكهربائي ، وانفتحت ثغرة في السور .. وانطلقت دراجة (أدهم) غير الثغرة ، وسط ظلام هبط

على المكان بغتة ، وانطلقت ضحكته الساخرة الظافرة تشق
الظلام ، فصرخ (بانشو) :

— الحق به يا (ألفريدو) .. لا تتركه يفلت يارجل .

غمغم (ألفريدو) في توتر بالغ :

— مُحال ياسنيور (بانشو) .. إنه سيقتلنا لو فعلنا .. لن

أفعل .. لن أفعل .

ومرة أخرى ، عضَّ (بانشو) شفتيه قهراً ، وراح يراقب

درَاجَة (أدهم) وهي تتبعد ، حتى ابتلعها الظلام ..

« اللعنة !! .. » ..

هتف (أنزيو) بالكلمة في سُخْط ومراة ، وهو يدير عينيه

فيما أصاب معسكره ، الذي فخر به طيلة عمره ، وصوت

(بانشو) يرتفع هاتفاً :

— لقد فشلت يا (أنزيو) .. فشلت مع رجالك المائة في

اقتصاص رجل واحد .. يا للعار !.. أية هزيمة هذه ؟.. بل أية

كارثة ؟

التفت إليه (أنزيو) ، وهتف في ثورة :

— كفى ياسنيور (بانشو) .. كفى .. إنك تتحدث كما

لو أننا قد تقاعسنا أو قصّرنا في محاربة ذلك الشيطان ، ولكننا
كما ترى بذلنا أقصى جهدنا ، ولكنه ليس رجلاً عادياً .

هتف (بانشو) في غضب :

— لست أحب سماع هذه العبارة .. إن هذا الرجل مجرد

رجل عادي ، ولكنه محظوظ فحسب ، هذا كل شيء .

صاح (أنزيو) في استكثار :

— محظوظ فحسب .. أي هُزَاء هذا ياسنيور

(بانشو) ؟ .. أتخدع نفسك أم تحاول خداعنا ؟ .. هذا الرجل

ليس عادياً بالقطع ، سواء أراق لك سماع ذلك أم لا .. انظر

إلى ماحولك يارجل ، وفُل لي ماذا ترى ؟ .. مجرد ألواح

خشبية ، يلفها الظلام .. أتعلم ما الذي كان عليه هذا المكان

في الصباح فقط ؟ .. كان معسكراً مخيفاً ، يضم مائة من أشد

الرجال ، يكفي ذكر أسمائهم ليث الرُعب في القلوب ، وكنت

أنا أقودهم جميعاً ، فلا تجرؤ حتى العواصف على اعتراضنا ،

حتى أن رجال الشرطة والجيش ، ورجال حرس الحدود ، كانوا

يتحاشون مجرد الاحتكاك بنا ، أما الآن ، وفي الساعات الأولى

من صباح اليوم التالي ، فلقد ذهب كل هذا .. أتعلم كم تبقى

من رجال ياسنيور (بانشو) ؟ .. ثلاثة عشر رجلاً فحسب ..

هل تفهم ؟ .. هذا يعني أن ذلك الشيطان وحده ، ودون أن يملك سوى أسلحتنا نحن ، قد قضى في بضع ساعات على سبعة وثمانين من أشيأء رجالنا .. هل تدرك ما الذى يعنيه ذلك ؟ عقد (بانشو) حاجبيه ، وهو يقول فى جدّة :

— إلك أنت ورجالك أغبياء .

احتقن وجه (أنزيو) فى غضب ، وهمّ بأن يتف ساخطاً ، لولا أن استدرك (بانشو) فى صرامة :

— ولكننا لم نخسر كل شيء بعد .

ولوح بدراعه مستطرذا :

— ما زلنا نفرض سيطرتنا على الصحراء ، وما زال مخبئ مجهولاً ، وما زلت أحتفظ لدى بزميلة هذا الشيطان .

عقد (أنزيو) حاجبيه فى شدّة ، وهو يقول :

— وبمّ يفيدنا كل هذا ؟

أجابته وهو يسبح بعينه بعيداً :

— إن ذلك الشيطان يرغب فى بلوغ مخبئ بأى ثمن ، قبل مضى ثلاثة أيام ، وسيبدل فى سبيل ذلك أقصى ما يمكنه من جهد ، ولكنه لن يجد أمامه سوى طريقين ، لا ثالث لهما ، فإما أن يجوب الصحراء بلا هُدًى ، أو يعود إلى المدينة ، بحثاً عن مرسده إلى موضعى .

غمغم (أنزيو) فى عصيّة :

— أو ينطلق إلى (أمريكا) ، ويتنزع عميلك السرى ، فى هيئة الطاقة الذريّة هناك ، من عنقه ، ويتنزع منه سِرّ الصّفقة ، دون أن يدفع قرشاً واحداً .

عقد (بانشو) حاجبيه فى تفكير ، ثم غمغم فى حزم :

— لست أظن ذلك الاحتمال ممكناً ، فى الوقت الحالى ، فهو

بجهل — مثل الجميع — اسم عميل السرى هناك ، والوقت

لا يكفيه للبحث .. لا .. أظنه سيّجّه إلى المدينة .

وأطلّ شرّ الدنيا كلها من عينيه ، وهو يستطرد فى صرامة :

— وسنكون فى انتظاره هناك ..



تلمل السفير المصرى فى المكسيك ، وهو يرقد فى فراشه وحيدا ، بعد أن طارت زوجته مع ولديه فى الصباح إلى (القاهرة) ، لعيادة والدها المريض ، وتركوه وحده ، وقد أعجزته مسئولياته عن الانضمام إليهم ...
وعلى الرغم من أن عقارب الساعة كانت قد تجاوزت الثانية صباحا ، إلا أن السفير لم يشعر بعد بالرغبة فى النوم ، مما جعله ينهض من الفراش ، وهو يغمغم فى ضيق :
— يا إلهى !! كم تبدو الليالى طويلة باردة ، عندما يكون المرء بدون أسرته .

تثاءب فى ملل ، ثم أشعل الثريا الصغيرة ، المجاورة للفراش ، والنقط غلبة سجاتره ، وتناول منها سيجارة ، دسها بين شفتيه ، والنقط قدأحته ليشعلها ، لولا أن سمع صوتا هادئا ، يقول :

— ليس من التعقل أن يجمع المرء هذا السُم باختياره ياسيدى .

أنفض السفير فى قوة ، وترك قدأحته تسقط على الفراش ، ويده تقفز لتلتقط مسدسه من أسفل وسادته ، ثم تدير قُوَّهته نحو مصدر الصوت ، و

وتفجر الدهول فى نفس الوزير ..
كان يصوب مسدسه إلى رجل يقف هادئا ، عند نافذة الحجرة ، ويبدو — على الرغم من هيئته الزرئية ، وسيما مليحا ، وإن ثمت شعيرات ذقنه ، وتبعثرت خصلات شعره على جبينه ، وتمزق قميصه على نحو يُوحى بأنه خرج لتوّه من انفجار عنيف ، وثغط إحدى ذراعيه بدماء جافة ، فى حين أمسكت اليد الأخرى بمدفع آلى فى تراخ ، دون أن تصوِّبه إلى السفير ، الذى هتف فى توتر :

— من أنت ؟ وكيف وصلت إلى هنا ؟

أجابه الرجل فى هدوء :

— اطمئن ياسيدى .. كلانا يعمل فى الجانب نفسه .

قال السفير فى صرامة :

— أى جانب تقصد ؟

تحيل إليه أن لهجة الشاب قد حملت الكثير من الاحترام والتوقير ، وهو يجيب بكلمة واحدة ، واقتضاب حاسم :

— (مصر) ..

سرت فثغريزة مهابة في جسد السفير ، وانخفضت فؤوه
مسدسه على نحو غريزي ، وهو يغمغم :

— (مصر) ؟!

ثم عادت فؤوه مسدسه ترتفع إلى وجه الرجل في حزم ،
وهو يستطرد :

— كل ما يمكنني أن أثق به هو أنك مصرى ، كما تؤكد لغتك
ولهجتك ، ولكن كيف لي أن أثق بأنك تعمل في الجانب الخير
لوطنا ؟

أجابه الرجل في هدوء يبعث الثقة في النفس :

— كان يمكنني أن أطلق النار على رأسك مباشرة ، بدلاً من
أن أتحدث إليك هكذا .

خفض السفير فؤوه مسدسه في بطاء ، وقد بدا له الجواب
منطقيًا واضحًا للغاية ، وغمغم في خيرة :

— ولكن من أنت ؟ وكيف وصلت إلى هنا حقًا ؟

وضع الرجل مدفعه الآلى جانبًا ، وتقدم إلى دائرة الضوء ،
لتبدو ملامحه الوسيمة أكثر وضوحًا ، وهو يقول :

— إننى رجل مخبرات مصرى ، ومعدرة لعدم استطاعتي
إضافة المزيد .

تمم السفير في اهتمام :

— إننى أقدر ذلك .. وأظن الجواب يمنح تفسيرًا
للسؤالين .

ثم أضاف في توتر :

— ولكنك تحتاج إلى رعاية طبية ، فلقد فقدت الكثير من
الدماء .

غمغم (أدهم) ، وهو يجلس إلى جواره على طرف
الفراش :

— أظننى أحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك ياسيدى .

سأله الرجل في لفة واهتمام :

— مثل ماذا ؟

أجابه وهو يلقي جسده فوق الفراش :

— النوم مثلاً ..

وعندما لامست رأسه الوسادة ، لم يكن ما استغرق فيه مجرد
نوم ..

لقد كانت غيبوبة ..

غيبوبة عميقة ..

هَبْ (إفرام) من فراشه ، والتقط مسدسه الضخم في
تحفُّز ، إثر طرقات خافتة على باب حجرته ، وقفز نحو الباب ،
وهو يقول في خذر :
— من الطارق ؟

أناه صوت خافت قلق ، يقول :
— إنه أنا .. (فيلا) ..

أسرع (إفرام) يفتح باب الغرفة ، وجذب (فيلا) إلى
الداخل ، وأغلق الباب خلفه ، وهو يسأله في توتر :
— حسنا .. ماذا خلفك هذه المرة ؟

أجابه (فيلا) في صوت مضطرب :

— لقد رأيت دراجة بخارية تحمل شعار (أنزيو) ، وهي
تسلل براكبها إلى المدينة ، منذ نصف الساعة .

عقد (إفرام) حاجبيه ، وهو يقول في جدّة :

— وهل يستحق هذا الخبر أن توظني ، في مثل هذه
الساعة ؟

تراجع الرجل في قلق ، وهو يقول بنفس الصوت الخافت :
— لا يامنيور (إفرام) .. لم يكن ليستحق ذلك ، لو أن
راكب الدراجة هو أحد رجال (أنزيو) .

استيقظت غريزة (إفرام) ، وهو يقول في اهتمام :
— مَنْ كان إذن ؟

مال (فيلا) على أذنه ، هامسا في انفعال :

— لقد كان ذلك الرجل ، الذي أعطيتني صورته هذا
الصباح ، وطلبت مني إبلاغك فور وصوله .

سرت ارتجافه قوية في جسد (إفرام) ، وهو يتراجع في
حركة حادّة ، هاتفا بكل ما جاش في صدره من انفعالات :
— (أدهم صبرى) ؟ !

أوماً (فيلا) برأسه ، قائلا في حماس :

— إنه هو .

ثم أضاف ، وهو يلوح بكل ذراعيه :

— لقد كان منهكا للغاية ، وكان قميصه ممزقا ، وذراعه
تنزف ، ولكنني تعرّفته .

هتف (إفرام) في لهفة :

— وأين ذهب ، بعد وصوله إلى المدينة ؟

هزّ (فيلا) رأسه ، وهو يقول في أسف :

— لم يمكنني تعقبه يامنيور ، فقد كان يتفادى المناطق
المألوفة ، حتى لا يلتقي برجل شرطة على الأرجح ، وكان



سرت ارتجافه قوية في جسد (إفرايم) ، وهو يتراجع في حركة حادة ..

قاطعه (إفرايم) في سخط :

— اللعنة !.. بم يفيدني أن أعلم أنه هنا ، في المدينة ، وأنا
أجهل إلى أين ذهب ؟

ابتسم (فيلا) في ذهاء ، وهو يقول :

— اطمئن ياسنيور (إفرايم) ، إنه لن يختفى في أعماق
الأرض ، وما دام لن يفعل ، فإنه في اللحظة الأولى ، التي يغادر
فيها مكانه ، سيتعرفه أحد رجالي ، ممن نشرتهم في طول المدينة
وغرضها ، ويبلغك بموضعه في غضون دقائق .
واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

— لقد أخبرتك من قبل أن تطمئن ياسنيور (إفرايم) ،
فما دام (أدهم صبرى) هذا قد وضع أقدامه في مدينتنا ، فهو
لن يغادرها حياً أبداً .. اطمئن .

على الرغم من أن عمل مدير المخابرات المصرية ، لا يتجاوز
التخطيط والمتابعة ، ومراجعة تقارير رجاله ، التي ترد من كل
أنحاء العالم ، إلا أن هذا العمل يضطره في معظم الأحيان إلى
السهر حتى مطلع الفجر ، خلف مكتبه في إدارة المخابرات
العامة ، مثلما حدث في تلك الليلة ، التي انتهى فيها من مراجعة

بعض التقارير البالغة الخطورة ، ثم عاد إلى منزله في الساعة صباحا ، وأعدت له السيدة زوجته قدحا من القهوة ، تناولها في بطن ، وعاد إلى مكتبه ، ليواصل عمله حتى الحادية عشرة ظهرا ، وعندما شعر بعدم قدرته على مواصلة الاستيقاظ ، وهم بمغادرة مكتبه ، ارتفع رنين هاتفه الخاص على نحو متصل ، فالتقط سماعته ، وهو يقول في ضجر :

— من المتحدث ؟

أناه صوت واضح ، يقول في تردد :

— أنا سفير (مصر) في (المكسيك) .. هل أتحدث إلى

مدير المخابرات العامة في (مصر) ؟

لم يكذب مدير المخابرات يسمع اسم (المكسيك) ، واسم السفير المصري هناك ، حتى ارتبط الأمر في ذهنه بـ (أدهم صبرى) و (منى) ، ومهمتهما في تلك الدولة ، وتذكر كيف أنه قد رفض إبلاغ السفير المصري بما سيدور على أرض الدولة ، التي يمثل دولته فيها ، وبدت له كل تلك الوقائع وكأنها تشير إلى حدوث اضطرابات أمنية ، أثارت خفي السفير ، فعاد يجلس على مقعده ، وهو يقول في اهتمام :

— نعم .. أنت تتحدث إلى مدير المخابرات العامة المصرية ،

ما الذي يمكنني تقديمه لك ؟

تردد السفير لحظة أخرى ، ثم قال :

— في الواقع ، لدى هنا رجل يدعى أنه ينتمي إليكم ،

و

قاطعه المدير في شفة :

— أهو وسيم ، طويل القامة ، عريض المنكبين ؟ .. هل

أخبرك باسمه ؟ .. هل تصحبه فتاة حسناء ؟ .. هل

قاطعه السفير هذه المرة ، قائلا في توثر :

— مهلا ياسيدى .. الرجل فاقد الوعي ، ولم يخبرني

بالكثير ، ولكنه كما تقول وسيم طويل عريض المنكبين ، وإن لم

يخبرني باسمه بعد ، ولقد أتى وحده ، وخدع حراس السفارة ،

وتسلل إلى حجرتي الخاصة دون أن يشعر به أحد ، وهو

مصاب ، والملحق الطبي يعالج جروحه ، ويستخرج من جسده

رصاصة أو رصاصتين تقريبا ..

سأله المدير في قلق :

— ومتى وصل إليكم هذا الرجل ؟

أجابه السفير :

— منذ نصف الساعة .. أنت تعلم أنكم تسبقونا في

التوقيت بثان ساعات كاملة ، فلم تتجاوز ساعتنا الثالثة صباحا

بعد .

عقد المدير حاجبيه ، وهو يقول فى اهتمام شديد :
 — إنه رجلنا على الأرجح ، واسمه هو (أدهم صبرى) ،
 ولكن قل لى .. ألم يحدثك بشيء عن زميلته ، أو نتيجة
 مهمته ؟ .. ألم يخبرك عما إذا كان قد أتم المهمة أم لا ؟
 أجابه السفير :

— لا ياسيدى ، ويبدو أنه من ذلك النوع ، الذى يحتفظ
 بالأسرار ، كما يحتفظ بحياته ، فهو لم يبدِ بحرف واحد ، حتى
 فى غيوبته .

زفر مدير المخابرات فى ضيق ، واعتدل قائلاً فى حزم :
 — حسناً .. امنحه كل العناية ، والتسهيلات اللازمة ،
 واطلب منه أن يتصل بى فور استعادته الوعى .
 غمغم السفير :

— كما تطلب .
 وانتهى الاتصال على هذا النحو ، فى نفس اللحظة التى دلف
 فيها الرائد (وحيد) إلى مكتب مدير المخابرات ، قائلاً :
 — سيارتك تنتظر ياسيدى . للعودة بك إلى المنزل .
 عقد المدير حاجبيه ، قائلاً فى حزم :

— لن أعود إلى المنزل يا (وحيد) ، فلم تغد بى رغبة فى

النوم .. سأنتظر مكالمة هاتفية من المكسيك ، قبل أن يشر
 (أدهم) حرباً خاصة ، على المدينة كلها .
 وصمت لحظة ، ثم استطرد فى جدّة :
 — وهو لن يتردد عن فعلها ..



٤ — خطوة فخطوة ..

انهمكت (منى) فى تدليك كاحلها المتوى ، الذى راح يتحسن تدريجياً ، فى محاولة منها لإلغاء عقلها عن التفكير فى (أدهم) ، وما يتعرض له من خطر ، عندما انفتح باب حجرتها فى خنق ، وبدأ على عتبة (بانشو) غاضباً ، يقول فى جدّة :

— ربما كان ينبغي أن أفتلك على الفور ، دون الانتظار حتى نهاية فترة الرهان .

كان للعبارة فى نفسها وقع حسن ، أثلج صدرها ، وأرسل الارتياح إلى قلبها ، فابتسمت ابتسامة واسعة ، وهى تقول :
— أيعنى هذا أن (أدهم) قد صفعكم جميعاً على مؤخرات أعناقكم ؟

صاح فى غضب :

— أتعمدين استغرازي يا امرأة ؟ .. أتعجلين الموت إلى هذا الحد ؟

أطلقت ضحكة قصيرة ، وقالت :

— أتعجل أنت الهزيمة ؟

عقد حاجبيه فى شدّة ، وهو يقول فى جدّة :

— لن يزمى رجلك هذا أبداً .. ربما يريح جولة أو جولتين ، ولكنه لن يزمى أبداً .
أطلقت ضحكة ساخرة أخرى ، فازدادت جدّة صوته ، وهو يتف :

— إن رجلك ليس متفوقاً كما تعتقدين .. إنه كالقار الحبيس .. لم يُعد له مكان يلجأ إليه سوى (مكسيكو سيتى) ، ولقد جئدت كل رجالى هناك لانتظاره ، والبحث عنه ، وقله فور رؤيته ، ولتعلمى أنه يقاتل دون توقف ، منذ صباح أمس ، وهذا يغنى أنه سيكون الآن منكأ ، متهاكأ ، حتى أنه لن يستطيع مقاومة فأر يقرض أصابعه .

ابتسمت فى لفة ، وهى تقول :

— لانتق بقولك هذا كثيراً أيها الوغد ، فقد يذهلك حقاً ما قد يفعله ذلك الرجل ، بعد قتال يوم كامل دون توقف .

صرخ فى ثورة :

— إنما هو رجل عادى .

أجابته فى سُخرية باردة :

— أتراهن ؟

قفزت يده في غضب إلى غمّده ، حيث استقر مسدّسه ،
ثم توقفت في طريقها بغتة ، وتجمّدت نظرة صارمة في عيني
(بانشو) ، قبل أن يقول في جدّة :

— سنرى .

أجابته (منى) في صارمة :

— نعم .. سنرى .

تسلّل صوت هادئ إلى مسامع (أدهم) ، وهو يستعيد
وعيه ، فاحتفظ بعينه مغلقتين ، وهو يستمع إلى السفير ، يقول
للملحق الطيّب في قلق :

— إنه أحد رجالهم حقًا ، لقد أكّد لي رئيسه ذلك ، ولكن
هذا يدهشني في الواقع ، فلم يتم إبلاغى بالأمر رسميًا حتى
الآن .

أجابته الملحق الطيّب :

— ربّما هي عملية بالغة السريّة ، أو بالغة الخطورة .

قال السفير في ضيق :

— ولو .. في الحالتين ينبغي إبلاغى ، فربما أدت تلك

العمليات السريّة إلى عواقب سياسية ، ومن الضروري أن أملك
تبريرًا متممًا وقت اللزوم .

غمغم (أدهم) ، وهو ينهض من فراشه :

— ليس هذا ضروريًا كما تعتقد ياسيدى .

التفت إليه السفير والملحق الطيّب في دهشة ، وهتف

الأخير :

— هل استعدت وعيك ؟

أجابته في حزم ، وهو يغادر الفراش ، ويبحث بعينه عن

قميصه :

— كم الساعة الآن ياسيدى ؟

قال السفير :

— إنها الثامنة والنصف صباحًا .

وأضاف الملحق الطيّب في قلق :

— ولكننا لن نسمح لك بمغادرة الفراش ، فلقد نرقت

الكثير من دمائك ، واستخرجت أنا من جسدك رصاصتين ،

و

قاطعه (أدهم) ، وهو يتسم في هدوء :

— آه !! كان ينبغي أن أتوجه لك بالشكر ياسيدى ، فمن

الواضح أنك قد فعلت الكثير من أجل ، ولكن الوقت المتبقى لا يسمح لرجل مثلي بالبقاء في فراش وثير ، ودولته مهددة بخطر جسيم .

لم يجرؤ أحدهما على التفوه بحرف واحد ، إزاء عبارته الأخيرة ، قبل أن يضيف هو في هدوء :

— والآن أين قميصي ، ومدفعي الآلي ؟

ابتسم السفير ، على الرغم منه ، وهو يتطلع إلى عضلات (أدهم) البارزة ، وقال :

— سأقترضك أحد قمصاني ، فقميصك لم يُعد صالحاً للاستخدام ، أما بخصوص مدفعك الآلي ، فأبني أتساءل ، كيف يمكنك السير به وسط المدينة ؟

أجابته (أدهم) في بساطة :

— سأفككه وأحمله في حقيبة صغيرة .

وألقى نظرة على وجهه ، في مرآة قريبة ، قبل أن يضيف :

— وسأنتخلص من ذلك الشعر الأشقر ، وأستعيد ملاحي

الأصلية .

غمغم السفير :

— كنت أعلم أنه مصبوغ .



ابتسم السفير ، على الرغم منه ، وهو يتطلع إلى عضلات (أدهم) البارزة ، وقال : سأقترضك أحد قمصاني ، فقميصك لم يُعد صالحاً للاستخدام ..

ثم أضاف في صوت مرتفع ، ولهجة حاسمة :
 — قبل أن تفعل أى شيء من هذا ، اتصل بمديرك أولاً .
 قال (أدهم) في هدوء :
 — بالطبع .. هل يوجد هاتف قريب ؟
 وصمت لحظة ، ثم أضاف في حزم :
 — في حجرة مغلقة .
 ابسم السفير ، وقد أدرك مايعنيه ، وقال :
 — بالطبع ..
 وفي أعماقه شعر بالارتياح ، لأن هذا الشاب قد استعاد
 وعيه .
 ولأنه مصرى ..

لم يكذب رنين الهاتف الخاص بمدير المخابرات يرتفع ، حتى
 اختطف سماعته ، ووضعها على أذنه ، هاتفاً :
 — من المتحدث ؟
 أتاه صوت (أدهم) غيّر الأسلاك ، يقول :
 — إنه أنا ياسيدى .. (ن — ١) .
 هتف المدير في لهفة :

— كيف حالك يا (ن — ١) ؟ .. أين زميلتك ؟ . وأين
 موقفك من المهمة الآن ؟
 قص عليه (أدهم) القصة كلها ، بأدق التفاصيل ، دون
 أن يقاطعه المدير لحظة واحدة ، حتى انتهى من روايته ، فقال
 المدير في حزم :
 — لقد تعقدت الأمور كثيراً يا (ن — ١) ، ولم تغد من
 المنطقي أن تواصل مهمتك هناك .
 قال (أدهم) في حزم :
 — بل صار من المحتم أن أواصلها ياسيدى ، فد (منى) بين
 يدي ذلك الوغد (بانشو) ، وموعد إتمام الصفقة يقترب في
 سرعة ، و ..
 قاطعه رئيسه في صرامة :
 — غد يا (ن — ١) ..
 زان الصمت غيّر الأسلاك لحظة ، ثم قال (أدهم) في لهجة
 حازمة للغاية :
 — أنت تعلم أن هذا مستحيل ياسيدى .
 هتف رئيسه في صرامة :
 — لاتجادل الأوامر يا (ن — ١) .. لقد باغت مهمتك

بالفشل ، و (بانشو) لن يقبل عرضك لنيل الصفقة لحسابنا ،
سواء ربحت تلك المباراة السخيفة أو خسرتها ، لأنه سيخضك
كل البعض لو ربح ، وسيقتلك لو فشلت ، أما وصولك إلى
وكره السرى ، في هذه المهلة القصيرة ، التي لم تُعَدَّ تتجاوز
اليومين ، فهو المستحيل بعينه (يا ن - ١) ، وهذا يعني أن
الأمر تختم علينا الانتقال إلى الخطئة البديلة ، حيث سيقوم
سفيرنا بنفسه بالتفاوض مع (بانشو) ، و ...

قاطعه (أدهم) في حزم :

— لن يتم هذه العملية سوى ياسيدى .

صاح المدير في غضب :

— لاتناقش الأوامر الملقاة إليك أيها المقدم .. غد عل

الغور ، أو

احتبت العبارة في حلق المدير ، عندما نقلت إليه أسلاك
هاتف صوت (أدهم) الصارم ، وهو يقول :

— إننى مستقيل .

اتسمت عينا المدير في دهشة ، وهو يفهم .

— ماذا ؟!

أجابه (أدهم) في جدّة :

— أقول إننى مستقيل ياسيدى ، وأعتقد أن هذا لا يجبرنى
على طاعة الأوامر .

ثم انتزع أسلاك الهاتف في حركة حادة ، وهو يضيف
مغمغماً :

— وأعتقد أنه سيمضى وقت طويل ، قبل أن يتم إبلاغ
السفير بأمر تنفيذ الخطئة المضادة .

قالها ونهض في حزم ، وغادر الحجرة ، فاستقبله السفير
مبتسماً ، وهو يقول :

— لحذ .. هاهو ذا مدفعك الآلى ، ولكن ، أما زلت تصرّ
على مغادرة السفارة الآن ؟

ارتسمت على شفتى (أدهم) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

— كما سبق أن أخبرتك ياسيدى .. المهمة لا تخجل
التأخير ، بالإضافة إلى أننى

صمت لحظة ، قبل أن يلتقط المدفع الآلى ، مستطرداً في
حزم :

— لم يُعَدَّ لدى ما أخسره .

وغادر المكان في إصرار ، ليبدأ حربه ..

حرب (أدهم صبرى) الخاصة ..

٥ - حرب (أدهم) ..

اتعقد حاجبا (جوليات) في شدة ، انتفض جسده داخل
سيارته ، وهو يتطلع إلى مدخل السفارة المصرية ، حيث وقف
(أدهم) هادئا ، يتطلع حوله ، وهتف في صوت مبحوح ،
من فرط الانفعال :
— ها هو ذا .

تألفت عينا (إفرام) ، وهو يقول في كلمات تقطر
بشعوره الظافر :

— ألم أقل لك ؟ .. كان ينبغي أن تثق بي تمامًا يا رجل ..
لقد قدّرت أنه مادام قد اختفى طيلة الليل ، فلا ريب أنه في
مكان لا غم لك فيه عينا ، ويجد هو فيه أمه في الوقت ذاته ، ولن
توافر الصفقتان إلا في سفارته .

أخرج (جوليات) مسدسه ، وهو يقول في انفعال :
— هل أقتله ؟

أجابه (إفرام) في حسم :

— انتظر حتى يغادر السفارة تمامًا ، فمن الأفضل ألا
نسمح له بالإفلات من رصاصاتنا هذه المرة .

سرت ارتعادة في جسد (جوليات) ، وهو يقول بصوت
متحشرج :

— يا للشيطان !!! .. انظر .. إنه بلضت إلينا .. أنظنه لاحظ
أنا

بتر عبارته ، واتسعت عيناه في دُعر ، قبل أن يستطرد :
— اللعنة !!! إنه يتجه إلينا .

ثم ضغط دؤاسة الوقود ، صارخا :

— فليكن ما يكون .. سأقتله .

وانطلق بالسيارة نحو (أدهم) ، وصوب مسدسه إليه ..
وأطلق النار ..

أدرك (أدهم) طبيعة السيارة وراكبيها من النظرة الأولى ،
وأدرك أن محصومه لن يتوقفوا عن مطاردته لحظة واحدة ،
ماداموا لم يظفروا به بعد ..

ثم إنه كان يعلم من هم محصومه ..

لقد كان يواجه فريقين فحسب ..

(بانشو سيلازر) ورجاله ..

و (الموساد) ..

وكانت ملاح (جوليات) و (إفرام) تؤكد أنهما ليسا من رجال (بانشو) ..

وعندما اتجه (أدهم) إليهما ، كان يعلم أنهما لن يكتفيا بالتطلع إليه ، وأنهما سيهاجمانه في شراسة .. ولكنه كان مستعدًا ..

ولم تكذب (جوليات) تطل خارج السيارة ، وهي تحمل المسدس ، وقبل حتى أن تنطلق السيارة ، كان (أدهم) ينقض ..

ولقد بعث انقضاضه الرعب في نفس (جوليات) ، فصرخ في دُغر :

— اللعنة ! .. إنه يهاجمنا .

وطاشت رصاصاته كلها في الهواء ، مما أثار دُغر (إفرام) بدُوره ، فانتزع مسدسه ، وصوبه إلى (أدهم) ..

وفجأة ، قفز (أدهم) في الهواء ، واعتلى مقدمة السيارة ، متجاهلاً الرصاصات ، وقفز مرة أخرى فوق سقف السيارة ، فصرخ (جوليات) :

— إنه فوق .. فوقنا .

رفع (إفرام) مسدسه على الفور ، وراح يُطلق النار على سقف السيارة ، وهو يهتف :

— لن يفلت منا .. سأحظى بلقب الرجل الذي قتل ال

قبل أن يتم عبارته . كان جسد (أدهم) يخترق زجاج السيارة الخلفي ، ويستقر على المقعد الخلفي ، وتنقض قبضته على فك (إفرام) كالقنبلة ..

كل هذا في جزء من الثانية ، حتى أن (جوليات) أصيب بالذُفول ، وهو يحدق في جسد زميله ، الذي ارتطم بالزجاج الأمامي للسيارة ، ثم تهاوى على مقعده فاقد الوعي ..

وبخفة مذهلة ، التقط (أدهم) مسدس (إفرام) ، والصقه بمؤخرة عنق (جوليات) ، قائلًا في صرامة تجمّدت لها الدماء ، في عروق هذا الأخير :

— قف .

وبألية مطلقة ، ضغط (جوليات) كمّاحة السيارة ، التي انحرفت وهي تصرخ بصريخ مخيف ، وتوقفت على جانب الطريق ، ورفع (جوليات) ذراعيه ، وهو يرتجف ، ويهتف في زُعب :

— لا تقتلني يا مستر (أدهم) .. لا تفعل .

قال (أدهم) في صرامة :



قبل أن يتم عبارته ، كان جسد (أدهم) يخترق زجاج السيارة الخلفي ، ويستقر على المقعد الخلفي ، وتتفتن قبضته على فلك (إفرام) كالقنبلة ..

— هذا يتوقف على تعاونك معي يا رجل .
اختلس (جولييات) النظر إلى زميله الفاقد الوعي ، وغمغم في خوف :

— سأل ما بدا لك يا مستر (أدهم) ، ولكن لا تقتلني .
سأله (أدهم) في صرامة :

— أين مخبأ (بانشو) ؟

هتف (جولييات) في انبهار :

— لست أدري يا مستر (أدهم) .. أقسم لك إنني لست

أدري .. حتى مخابرات دولتي تجهل ذلك .. أقسم لك .

عاد (أدهم) يسأله في صرامة أشد :

— من يمكنه أن يجيب عن هذا السؤال ؟

هتف (جولييات) :

— أحد رجاله فقط يا مستر (أدهم) .. أحد من يقيمون

في ذلك الخبأ اللعين .

صمت (أدهم) لحظات ، ثم سأله في حسم :

— أنت وزميلك المكلفان إنهاء الصفقة مع (بانشو) ؟

تردد (جولييات) لحظات ، إزاء هذا السؤال ، ولكن

فؤهة المسدس الباردة ، التي لكزته في مؤخرة عنقه ، جعلته

يجيب في سرعة :

(جُوليات) مسدسه ، ودار حول نفسه في سرعة ، وهو
يصرخ بكل ما اخترن في أعماقه من تولثر وخنق :
— مُث أيها المصري .. مُث ..
وانطلقت رصاصة قاتلة من فؤده مسدسه ..

حذق السفير المصري في سلك الهاتف المقطوع في دهشة ،
ولوح بكفه في خيرة ، وهو يقول للملحق الطي :
— عجبنا !!.. لِم فعل هذا ؟
هز الملحق الطي رأسه ، وهو يغمغم في خيرة مماثلة :
— لست أدري ..

وفجأة ، برقت في ذهنه فكرة جُنونية ، إلا أنها بدت متناسبة
مع شخصية (أدهم) ، فهتف :
— ربما لم يعجبه حديثه مع مدير اخبارات ، أو أو
أنهم قد أعفوه من مهمته .

عقد السفير حاجبيه ، وغمغم في قلق :
أعفوه من مهمته ؟
ثم انحنى يلتقط الأسلاك المقطوعة ، وهو يستطرد في
الفعال :

— نعم .. هذا صحيح .
عاد (أدهم) يسأله :
— أين ثمن الصفقة إذن ؟
تردد (جُوليات) مرة أخرى ، فعاد (أدهم) يلكزه
بقُوته المسدس ، قائلاً :

— أحتاج إلى ما ينشط ذاكرتك ؟
غمغم (جُوليات) في تولثر :
— وما شأنك أنت بالمال ؟
هتف (أدهم) في صرامة :
— أجب فحسب .

وفجأة ، ارتفع صوت بوق سيارة شرطة تقترب ، بعد أن
أبلغها البعض عن تبادل إطلاق النيران في المنطقة ، فعقد
(أدهم) حاجبيه ، وهو يضيف في حزم :
— قلت أجب .

وبغته ، هب (إفرايم) ، وهوى على فك (أدهم) بكلمة
قوية ، وهو يهتف :

— ألم تفهم يا رجل ؟ .. لا شأن لك بالمال .
ولم تكد الكلمة ترتطم بفك (أدهم) ، حتى انتزع

— من حسن الحظ أن الأسلاك المقطوعة يُمكن وصلها .
 لم يكذب بيم عبارته ، حتى دوى صوت الرصاصات في
 الخارج ، فبادل السفير والملحق الطبي نظرة قلق ، وبرزت في
 رأسيهما فكرة واحدة ، ثم اندفعا معاً إلى نافذة الحجرة ،
 واتسعت عيونهما في دُفُول ، وهما يحذقان في ذلك المشهد
 المذهل ، لـ (أدهم) وهو يهاجم السيارة ، وينحرف بها جانباً ،
 ثم هتف السفير :

— ينبغي الاتصال بمدير المخابرات مرة أخرى حتماً . هذا
 الرجل سيُشن حرباً شخصية على المدينة كلها ، وَمَنْ يدرى ؟ ..
 قد ينتصر عليها ، ويضعنا في موقف حرج .
 وأسرع يوصل الأسلاك ، مستطرداً :
 — أقصد ديبلوماسياً .

من سوء حظ رجل (الموصاد) (إفرايم) و (جوليات) ،
 أن (أدهم صبرى) لم يكن بالرجل الذى يتلقى ضربتين من
 مصدر واحد ..

ليس في وقت محدود على الأقل ..
 لقد هوت لكمة (إفرايم) على فكّه ، والتفت مسدّس

(جوليات) إليه ، فبحرُك في سرعة ، وهوى بقبضته على فكّ
 (جوليات) كالثقبلة ، فطاشت رصاصة هذا الأخير ، وقذفته
 اللكمة خارج السيارة ، في نفس اللحظة التى هوت فيها قبضة
 (إفرايم) على فكّ (أدهم) بلكمة أخرى ، تلقاها هذا الأخير
 على ساعده ، وهو يهتف :

— مُخال أيها الوغد .. لن تفلح مرّتين أبداً .

وعندما هوت قبضة (أدهم) على فكّ (إفرايم) ، كانت
 لكمتها كالصاعقة ، انتزعت (إفرايم) من مقعده ، وألقته نحو
 زجاج النافذة ، ليهشّمه ويسقط فوق مقدمة السيارة ، ثم
 يتدحرج عنها إلى الأرض ، في حين قفز (أدهم) إلى مقعد
 القيادة ، وانطلق بالسيارة ، هاتفاً في سُخْرية :
 — هيا يا شرطة (مكسيكو) : فلنبدأ الحرب ..

وبدأت الحرب بالفعل ..

بدأت بمطاردة ..



٦ — نحو القمّة ..

انطلق (أدهم) بالسيارة ، دون أن يعبأ لحظة بما يمكن أن يسفر عنه تحديه العلني لرجال الشرطة المكسيكية ..
كان رجلاً لا يملك حقاً ما يخسره ، لو أنه واصل القتال ، ولكنه يخسر الكثير ، لو توقف في هذه اللحظة ..
يخسر (منى) ..
وتحديه لـ (بانشو) ..
ونفسه ..

وعندما كانت سيارة الشرطة المكسيكية تطارده ، كان ينطلق في بساطة ، وكأنه يؤدّي عملاً روتينياً تقليدياً ..
وفجأة ، انحرف على نحو حاد ، ودار بسيارته حول محورها ، ثم انطلق نحو سيارة الشرطة مباشرة ..
وكانت مفاجأة مذهلة لرجال الشرطة ، وانحرف سائق سيارتهم في دُعر ، فارتطم بإفريز الطريق ، وانقلبت السيارة في عُنف ، في حين واصل (أدهم) طريقه بلا توقف ، وهو يقول في حزم :

— معذرة أيها السادة .. لم يغد هناك ما يكفي من الوقت للعبث معكم .

انطلق بالسيارة بجناز طرقات (مكسيكو) ، حتى بلغ مكتب (برناردو) لاستجار السيارات ، ورأى (برناردو) أمام المتجر ، يشير لبعض العاملين ، الذين انهمكوا في تركيب ألواح الزجاج في باب المتجر الجديد ..
واندفع (أدهم) نحو المتجر ، واخترق الباب الجديد كقذيفة مدفع ، وتهمّش الزجاج في عُنف ، وتناثر في كل مكان ، فصرخ (برناردو) في رُعب :
— لا .. ليس ثانية .

وتراجع العاملون في دُعر ، عندما رأوا (أدهم) يقفز من السيارة ، وينقض على (برناردو) ، الذي انهار هاتفاً في رُعب :

— الرّحة ياسنيور !! أقسم لك إنني أجهل كل شيء ..
جذبه (أدهم) من عنقه في عُنف ، وغاصت قبضته في معدته في قوة ، جعلت (برناردو) يشق في ألم ، ويصرخ في انهار :

— الرّحة ياسنيور !!

أجبره (أدهم) على الوقوف ، وهو يسأله في صرامة
مخيفة :

— أين مخبأ (بانشو) السرى ؟

هتف (برناردو) في هلع :

— لست أدرى ياسنيور .. أقسم لك .

فوى (أدهم) على معدته بلكمة أخرى ، وهو يهتف :

— أين المخبأ ؟

صرخ (برناردو) :

— لا أحد يعرفه سوى رجال (بانشو) ياسنيور .. لا أحد

يعرفه .

جذبه (أدهم) في عنف ، قائلاً في صرامة :

— وأنت .. أأنت من رجال (بانشو) ؟

لوح الرجل بذراعيه في هلع ، وهو يهتف :

— لا ياسنيور .. لست أحد رجاله .. إننى تاجر سيارات

مسكين .. كل ما أعرفه هو أن السنيور (بانشو) يرسل إلى

أحياناً صورة شخص ما ، غير جهاز (الفاكس ميل) ، ليكون

على أن أعطى هذا الشخص سيارة ملفومة .. هذه كل صلتى

بسنير (بانشو) ..



واندفع (أدهم) نحو المتجر ، واخترق الباب الجديد كقذيفة مدفع ..

ضم (أدهم) قبضته في صرامة ، أمام وجه الرجل ، وهو يسأله :

— مَنْ مِنْ رجال (بانشو) هنا إذن ؟
هتف (برناردو) :

— لست أعرف منهم سوى سنيور (سيلفيو) ، وسنيور (زاباتا) ، وسنيور (أنزيو) .. حتى سنيور (ألفريدو) ،
طياره الخاص ، لا يأتي إلى هنا إلا لابتلاع طعام لرجال (بانشو)
فحسب .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :

— مَنْ مِنْهم يقيم بالقرب من هنا ؟

أجابته الرجل ، وصوت أبواق سيارات الشرطة يقترب :
— سنيور (زاباتا) .. إنه صاحب المتجر الضخم ، في نهاية
هذا الشارع .. إنه الوحيد الذي قد يعلم شيئاً عن الوكر
السري .

دفعه (أدهم) بعيداً ، وهو يقول :

— لا بأس .. هذا يكفي .

ثم قفز داخل السيارة ، في نفس اللحظة التي وصلت فيها
سيارات الشرطة إلى المكان ، فترجع بسيارته في غنف ،
واصطدمت مؤخرة سيارته بجانب سيارة الشرطة ، فصاح
ضابط الشرطة المكسيكي ، وهو يلوح بمسدسه :

— قِفْ يارجل ، وإلا

قبل أن يتم عبارته ، انطلقت رصاصة من مسدس
(أدهم) ، الذي انتزعه من (إفرام) ، فأطاحت بمسدس
الضابط ، ثم انطلقت أخرى هشمت زجاج سيارة الشرطة
الأمامي ، ومرقت منه لتنفذ من الخلفي ، وانطلقت ثلاثة ثقوب
إطار السيارة الأمامي ، ورابعة ثقوب الخلفي ، قبل أن ينطلق
(أدهم) بسيارته كالصاروخ ..

وصرخ ضابط الشرطة في غضب وحنق :

— اللعنة !.. كيف يفلت منّا هكذا ؟

هَبْ (برناردو) من مسقطه ، واندفع نحو سيارة الشرطة ،
وهو يهتف في ارتياح :

— سيذهب إلى متجر (زاباتا) .. إنه في طريقه إلى هناك .
أدار الجميع عيونهم إلى حيث يقع متجر (زاباتا) ، ورأوا
سيارة (أدهم) تدور في صرير مزعج ، لتواجه مقدمتها واجهة
المتجر الضخمة ..

ثم رأوا السيارة تقتحم متجر (زاباتا) ..

لقد كان (أدهم) يقا تل بكل قواه بالفعل ..

ولم يكن لديه ما يخسره ..

لم يكن لديه ما يخسره قط ..

بدا (بانشو) شديد التوتر هذا الصباح ، وهو يجرع كنوس (التكيلا) واحدة بعد الأخرى ، دون أن يتناول طعام إفطاره ، وعندما سأله (ألفريدو) عما يفعله بصحته ، صاح به في غضب :

— إنها صحتي أنا ، ولا شأن لكم بها .

عقد (ألفريدو) حاجبيه ، وهو يغمغم :

— لا بأس ياسنيور (بانشو) .. إنها صحتك ، ولكن ..

حسنًا .. لن يعرضك أحد .

ألقي (بانشو) كأس (التكيلا) في عنف ، وهو يتف :

— لست أريد أية نصائح .. هل تفهمون ؟ .. سأقتل أول

من يوجه لي نصيحة .

تراجع (ألفريدو) ، هاتفا :

— لن ينصحك أحد ياسنيور (بانشو) .. اطمئن .

عاد (بانشو) يصب لنفسه كأسًا من (التكيلا) ، وهو

يقول في عصبية ، وكأنها يحدث نفسه في صوت مرتفع :

— كيف لم يوقعوا به حتى الآن ؟ .. كيف ؟ .. إنه مجرد

رجل واحد .. كيف ؟

ثم جرّع الكأس دفعة واحدة ، وهتف وقد احتقن وجهه :

— لقد هزمتنا جيوشنا من قبل .. كيف الآن نعجز أمام رجل

واحد ؟

عاد يصب لنفسه كأسًا أخرى ، مستطرذا :

— وهذا الوغد (أنريو) يقول إن

بتر عبارته بغتة ، وتجمّدت أصابعه حول كأسه ، ثم التفت

إلى أحد رجاله ، قائلاً في حزم وصرامة :

— أرسل رسالة شفوية إلى ذلك المدعو (موريس) ، في

هيئة الطاقة الذرية الأمريكية ، وقُلْ له إنني أريده هنا فجر

الغد .

وأدار عينيه إلى (ألفريدو) ، وهو يلوح بكفه ، مردفًا :

— هل تصدّق ؟ .. لقد جعلوني قلقًا بشأن ذلك العالم

السخيف .

وجرّع الكأس الأخرى دفعة واحدة ، فعاد وجهه يحتقن

في شدة ، وهو يستطرد في صوت خنقه الاحتقان :

— ولقد أمرتهم بالتخلّص من (أدهم صبرى) هذا ،

ولكن

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع رنين الهاتف اللاسلكي الخاص

به ، فالتقط سماعته في سرعة ، ووضعها على أذنه ، قائلاً في

جدّة :

وأنهى المحادثة ، والتفت إلى أحد رجاله ، مستظرفاً في
الفعال جارف :

— اتصل بكل رجل يتقاضى منا بيزو واحداً ، في شرطة
(مكسيكو) ، وقرّهم جميعاً بمطاردة ذلك الشيطان المصرى ،
وأبلغهم أنني سأدفع عشرة آلاف دولار أمريكى ، ثمناً لرأس
ذلك الرجل .. (أدهم صبرى) ..



— أنا (بانشو) ، من الغيبى الذى يتحدث ؟
أتأه صوت أحد رجاله ، يقول في انفعال :
— لددى خير بالغ الأهمية ياسنيور (بانشو) .
قال (بانشو) في حدة :
— أتعشم أن يكون كذلك ، وإلا فسيكون عنقك هو
التمن .

أجابه الرجل في توكر :
— إنه كذلك ياسنيور (بانشو) .. إنه كذلك ..
وأضاف في سرعة ، بلهجة تحمل كل انفعاله :
— إنه بشأن ذلك المصرى ، الذى تبحث عنه .
استعت عينا (بانشو) ، وهتف في حيلة مضاعفة :
— ماذا عنه ؟ أين هو ؟
أجابه الرجل ، وقد توسم في لفة الصوت خيراً :
— في (مكسيكو) ياسنيور (بانشو) ، والشرطة هنا
تطارده ، وأظنهم سيلقون القبض عليه ..
تألفت عينا (بانشو) في شراسة ، وهو يقول في لفة :
— رائع يا رجال .. ستال مكافأة سخية لقاء تلك
المعلومة .

كانت مفاجأة مذهلة حقاً لـ (زاباتا) ..

كان يجلس في متجره ، منهمكاً في غدّ نقوده ، وحساب قيمتها ، عند تحويلها من البيزونات المكسيكية إلى الدولارات الأمريكية ، ومتسائلاً عما يمكن أن يفعله بتلك الدولارات ، عندما اقتحم (أدهم) متجره بسيارته ..

لقد اقتحم (أدهم) المتجر كقنبلة ، وراحت سيارته تحطم كل ما يعترض طريقها ، حتى اخترقت مكتب (زاباتا) الزجاجي الجدران ، وأثارت فيما حوّلها عاصفة من شظايا الزجاج ..

والصق (زاباتا) بالحائط في رُغب ، ثم قفز محاولاً التقاط مسدسه ، إلا أن (أدهم) قفز خارج السيارة ، وركله في وجهه في عنف ، ليضربه بالجدار ، ثم هَوَى على معدته بلكمة كالقنبلة ، انتفخت لها وجتا الرجل ، وجمعت لها عيناها ، وصدر لها من أنفه صوت أشبه بالخوار ، قبل أن يتحطم هذا الأنف إثر قبلة أخرى ..

واختلطت دموع (زاباتا) بدمائه وعظامه ، ولحم أنفه المفترى ، وغامت الرؤية أمام عينيه ، فبدأ له مهاجمة أشبه بوحش كاسر ، جعله يهتف :

— لا .. الرُّحمة !! الرُّحمة !!

تصاعد ذوى صفارات الشرطة ، مع صوت (أدهم) ، وهو يسأله في صرامة :

— أين مخبأ (بانشو) السرى ؟

غمغم (زاباتا) في ارتياح :

— ماذا ؟

لم يكذب ينطقها حتى هَوَتْ لكمة (أدهم) على فكّه ، وأطارت نصف أسنانه ، فصرخ بغم امتلاء بالدماء :

— ماذا تفعل بي ؟ .. هذا غير قانوني ..

دفعه (أدهم) إلى السيارة ، وهو يقول في صرامة :

— غير قانوني ؟ .. كيف تقول ذلك ، وأنت صاحب مبدأ

اللاقانونيات يا رجل ؟

ألقاه على المقعد الخلفي له في عنف ، ثم احتلّ مقعد القيادة ، وأدار المحرك ، في نفس اللحظة التي توقفت فيها سيارات الشرطة أمام المتجر ، وهبط منها ضابط شرطة ، يهتف آمراً :

— حاصروا المكان ، وأطلقوا النار فور
وقبل أن يم عبارته ، كانت سيارة (أدهم) تخترق المتجر
إلى الخارج ، ورصاصات هذا الأخير تنهمر على إطارات
السيارات ، ثم ينطلق هو بالسيارة في سرعة الصاروخ ..
وشد الضابط شعره ، صارخا :
— هذا غير معقول .. غير معقول .. ما الذى يفعله بنا هذا
الشیطان ؟
ثم التفت إلى سائقي سيارات الشرطة ، صارخا :
— فليطارده أحدكم .. لا يقف الجميع هكذا .
أجابه أحدهم :
— لا يمكننى أن أفعل .. لقد ثقب مبرّد المياه الخاص بى .
وهتف آخر :
— وأفسد إطارين لسيارنى ..
وصاح ثالث :
— وثقب خزان وقود سيارنى .
احتقن وجه الضابط ، وراح يصرخ فى جنون :
— فلنذهبوا جميعاً إلى الجحيم .. أنتم تستحقون أن يمزكم
رجل واحد .. تستحقون ذلك .

ثم اختطف مسماع جهاز الألسلكى من سيارته ، واستطرد
مُخْتَفَاً :
— إلى جميع وحدات شرطة (مكسيكو) .. نحن نطارده
مُخْتَفَاً رهيباً ، يحطّم المتاجر ، ويطلق الرصاص بلا حساب ،
ولقد أفسد كل سيارتنا مع بدء المطاردة ، وهو يقود سيارة
أمريكية ، من طراز (فورد) حمراء اللون ، تحمل أرقاماً من
(تكساس) ، ولكن خذار .. إنه لا يخطئ إصابه أهدافه
أيهما .. هل تفهمون ؟ .. أبداً .

لم يكذب (أدهم) ينحرف فى طريقين جانبيين ، حتى أوقف
سيارته بضغطة حادة على كمّاحتها ، ودفع (زاباتا) فى عتف ،
قائلاً :
— اخرج .
أطاع (زاباتا) الأمر فى هلع ، وهو يقول :
— اسمع يارجل .. لو أنك تطلب مالاً ، فسأفدى نفسى
بأى مبلغ تطلبه ، ولو أنك من عصاة منافسة ، فسأ.....
قاطعته فى صرامة :
— اصمت .

ثم غادر السيارة بدّوره ، واتجه إلى سيارة أخرى ، وحطّم
 زجاج النافذة المجاور لقعد السائق ، بضربة من كعب مسدّسه ،
 وفتح الباب ، وهو يقول له (زاباتا) :
 — اركب .

كانت أوامره مقتضبة حازمة ، تلقى على نحو لا يقبل الجدل
 أو النقاش ، فأطاع (زاباتا) مستسلماً ، وجلس إلى جواره ،
 يتطلّع إليه في توثر ، وهو يتنزع سلكين من جزء في عجلة
 القيادة ، ويصل بعضهما ببعض ؛ ليدير المحرّك ، ثم انطلق
 بالسيارة في صمت ..

وغمغم (زاباتا) في خدر :

— حسناً .. كم تطلب ؟

أجابه (أدهم) في صرامة :

— وكر (بانشو) السري .

ازدرد (زاباتا) لعابه في صعوبة ، وقال في توثر :

— لا يمكنني أن أخبرك بما تطلب .. هذا مستحيل !

قال (أدهم) في برود :

— أيها .. مقتل أم إخباري ؟!

حاول (زاباتا) أن يزدرد لعابه مرّة أخرى ، إلّا أنه وجد

حلقة جافاً في شدّة ، فغمغم في صوت أجش :



أطاع (زاباتا) الأمر في خلع ، وهو يقول : — اسمع يا رجل .. لو أنك
 تطلب مائلاً ، فسأفقد نفسي بأي مبلغ تطلبه ..

— إن ما تطلبه مستحيل يا رجل .. أتعلم ما الذى يمكن أن
يفعله لى (يانشو) ، لو أننى أخبرتك ؟
صوّب إليه (أدهم) قُوّهة مسدّسه ، وجذب إبرته ، وهو
يقول فى حزم :
— بقتلك ؟

هتف (زاباتا) مختفًا :
— كيف تطالبنى بإخبارك إذن ؟
أجابه لى صرامة :

— ربما لو جعلتك ترى الموت أكثر راحة .
ثم هوى على فكيه بكعب مسدّسه ، وأطار سنتين آخرين
له ، فصرخ (زاباتا) وهو يصرق أسنانه المكسورة مع الدماء :
— هذا غير آدمى .
قال (أدهم) لى برود :
— حقًا !! كم مرّة فعلت ذلك ، لى الأسبوعين
الأخيرين ؟

لم ينس (زاباتا) بينت شفة ، وإن استرجع عقله مشهد
ذلك الرجل ، الذى أمر رجاله بانتزاع أظفاره ، منذ ثلاثة
أيام ، ليَجبره على بيع قطعة أرض جديدة له ، أراد إضافتها

لمزرعته الشاسعة ، ومشهد تلك المرأة ، التى قطعوا إصبعها ،
لتهديد زوجها ، و.....
قاطعه (أدهم) ، قائلاً لى صرامة :
— أستخبر لى أم أو اصل ؟

دارت عينا (زاباتا) فى مخجزيهما ، من شدة الرعب ،
وتطلّع فى هلع إلى الطريق الصحراوى ، الذى انطلقت فيه
سيارة (أدهم) ، وقال لى صوت مرتجف :

— ربما لا تدرك صعوبة الأمر بالفعل يا رجل .. المشكلة
الحقيقية ليست فى معرفة وكر (يانشو) ، ولكن فى التوصل
إليه ، ودخوله .. إنه يضع حراسة قوية فى كل ركن فيه ،
ولا يسمح بدخول أى مخلوق ، سوى رجاله فقط ، وإذا ما
جرؤ شخص على الاقتراب منه ، فإنه يقتل

قاطعه ضغطة قوية من قدم (أدهم) ، على كمّاحة
السيارة ، جعلته يندفع إلى الأمام ، ويكاد يرتطم بالزجاج ،
فهتف :

— احترس يا رجل .
أوقف (أدهم) السيارة على جانب الطريق الصحراوى ،
وغادرها فى حركة حادّة ، ودار حولها لينتزع (زاباتا) من
مقعده ، ويقول له فى صرامة :

— اسمع يا رجل .. إننى

قبل أن ينطق بحرف إضافي واحد ، دَوَى طلق نارى ، تردّد
صداه فى الصحراء كلها ، وحفظت عينا (زاباتا) ، وتجمّدت
أطرافه ، وتشبّث بكفى (أدهم) فى قوة ، ثم سقط بين ذراعيه
جثة هامدة ..

ومن خلفه ظهر رجل شرطة ، يصوّب إلى (أدهم)
بندقية ، ويرتدى منظاراً شمسياً ، وهو يقول فى ظفر :
— انتهت المطاردة يا رجل .. لقد أعلن (بانشو) عن
مكافأة لاصطيادك ، وأظننى سأربحها .
ثم ضغط زناد بندقية ..

شعر (إفرام) بالآلام مبرّحة فى فكّه ، وسمع صوتاً جزعاً
يهتف به :

— استيقظ يا رجل .. استعد وعيك .. هيا ..
بذل (إفرام) جهداً رهيباً ، يميّز فى العبارة صوت زميله
(جوليات) ، وفتح عينيه فى صعوبة ، وهو يغمغم :
— ماذا حدث يا (جوليات) ؟
أجابه (جوليات) فى هلع ملحوظ :

— لقد التقينا بذلك الشيطان المصرى ، كما كنت تتمنى
يا رجل .. ولقد حطّمنا تحطيمًا ، مع المواجهة الأولى .
ردّد (إفرام) بذهن مشّت :
— حطّمنا ؟!

أجابه (جوليات) ، وهو يعاونه على النهوض :
— نعم .. لقد أفقدنا وعينا ، واستولى على مسدسنا ،
وسيارتنا صدّقنى يا رجل .. إننا لانتطيع مواجهته .
قاوم (إفرام) ذلك الصداغ الرهيب ، الذى يملأ رأسه ،
وغمغم :

— ماذا تغنى بأننا لانتطيع مواجهته ؟ .. إنه مجرد

قاطعه (جوليات) :
— لا تكابر .. إنه شيطان بحق .. لقد عجزت دولتنا كلها
عن القضاء عليه ، ولن يكون حظنا بأفضل منها ، ثم إنه سيهزم
(بانشو) أيضًا ، وسنخسر نحن كل شيء .
أيقظت العبارة الأخيرة عقل (إفرام) ، فاعتدل قائلاً فى
جزع :

— نخسر كل شيء ؟!
ثم أمسك كفّ (جوليات) ، واستطرد فى صرامة :

— اسمع يا رجل .. من الضروري ألا نفقد المال .. هل تفهم ؟ .. فليذهب (أدهم صبرى) هذا إلى الجحيم .. بل فلنذهب دولتنا كلها .. المهم هو أن نفوز نحن باللعبة .
نعم (جوليات) فى تولر :

— وماذا تقترح يا رجل ؟ .. لقد قلت إنه من الخطئ أن نلص الصفقة ، حتى يمكننا أن نفوز بالمال ؟

عقد (إفرام) حاجبيه ، مفكرًا فى عمق ، ثم قال :

— لا .. ليس من الخطئ أن نفعل .

ارتفع حاجبا (جوليات) فى دهشة ، وهو يغمغم ..
ولكنك قلت إنهم سيطاردونا حتى آخر العالم ، و
قاطعه فى حزم :

— هذا لو لم نجد وسيلة عبقرية للتخفى .

سأله (جوليات) فى لهفة :

— وهل هناك وسيلة كهذه ؟

ابتسم (إفرام) فى دهاء ، وهو يقول :

— بالطبع يا رجل .

ثم أشار إلى رأسه ، مستطرذا فى ثقة :

— ستجد هاهنا حلًا لكل شيء .. لكل شيء

قبل أن تعتصر سبابة رجل الشرطة الزناد ، بجزء من الثانية ،
القى (أدهم) حسد (زاباتا) بعيدًا ، ورفع مسدسه ، وأطلق النار ..

ونجمد جسد رجل الشرطة لحظة ، ونهشم زجاج منظاره الأسود ، عند عينه اليسرى تمامًا ..

ثم سقط جثة هامدة ..

لقد خسر المعركة ..

خسرها ؛ لأنه لم يحسن تقدير قوة خصمه ، فلقد تلكأ فى إطلاق النار ..

وخسر ..

ولى سرعة ، انحنى (أدهم) يفحص (زاباتا) ، ولكن رجل العصابات المكسيكى كان قد لفظ آخر أنفاسه ..

ونهم (أدهم) ، والغضب يجرى فى عروقه مجرى الدم ..

لقد فشل مرة أخرى فى معرفة (بانشو) ..

لقد قتل فى هذه المرة أكثر مما قتل فى حياته كلها ..

وهو يكره القتل ..

صحيح أن مهنته تختم عليه إراقة الدماء ، دون أن يهتز فى جسده شعرة واحدة ..

ولكنه يكره القتل ..

— إنه لا يلجأ إليه إلا مضطراً ..

تماماً كما يفعل الآن ..

وغرق في لُجّة من أفكاره ، محاولاً البحث عن وسيلة مثالية

للمعرفة وكر (بانشو) ، والتوصل إليه ، ولكن

فجأة ، انقطعت أفكاره بذوى رصاصة ، وبصوت

ارتطامها بالأرض ، بين قدميه تماماً ..

واستدار (أدھم) في سرعة البرق ، وتطلّع في حزم إلى تلك

النقطة ، التي انطلقت منها الرصاصة ، ورأى نفسه يواجه الموت

مرة أخرى ..

وكان الموت هذه المرة هو (آنزيو) ..

(آنزيو) ومن تبقى من عصابته ..

كان على (أدھم) أن يواجه ثلاثة عشر رجلاً ..

وثلاثة عشر رسولاً للموت ..



٨ — كل الأدلة ..

هبطت الطائرة القادمة من الولايات المتحدة الأمريكية ،

في مطار (مكسيكو) ، وغادرتها ركابها ، وراحوا ينهبون

إجراءاتهم الجمركية ، وبعدها غادر أحدهم المطار ، ووقف

أمامه يتلفت حوله في توتر ، فاقتربت منه سيارة أنيقة ، وأطلّ

من نافذتها وجه رجل ضخّم ، غليظ الملايح ، ابتسم ابتسامة

زادت ملامحه قبحاً ، وهو يقول للرجل :

— أأنت سنير (مورييس) ؟

التفت إليه الرجل النحيل في توتر ، وعذّل من وضع

منظاره الطّبيّ فوق عييه ، على نحو يُوجي بعصبيّة ، وهو

يقول :

— نعم .. إنه أنا .

عاد الغليظ يسأله في برود :

— أين تعمل ؟

تلّفّت الرجل حوله في خوف وقلق ، ثم همس وكأنها يخشى

أن يسمعه أحد :

— في هيئة الطاقة الذرية الأمريكية .

اتسعت ابتسامة الغليظ ، وازدادت ملامحه مع اتساعها
قُبْحًا ، وهو يقول :

— لقد أرسلني سنيور (بانشو) لاصطحابك .

تنفس (موريس) الصُّعْدَاء ، وأسرع يَذِلُّف إلى السيارة ،
وهو يغمغم في عصبية :

— لماذا لم يَأْت بنفسه ، مثل كل مرة ؟

ابتسم الغليظ ، وقال ، وهو ينطلق بالسيارة :
— هناك ما يعطله .

ثم لاذ بالصمت التام ، وهو ينطلق إلى خارج المدينة ، ولأذ
(موريس) بدوْره بالصمت ، حتى بلغت السيارة أول الطريق
الصحراوي ، فغمغم في توثر :

— هل سذهب إليه بالسيارة ؟

أجابه الغليظ :

— اطمئن ياسنيور (موريس) .. ستكون رحلتك سريعة

ل للغاية .

قَالَهَا على نحو ساخر ، أثار قلق (موريس) وخوفه ، فقال
في حِدَّة عصبية :

— لماذا لم يَأْت (بانشو) كالمعتاد ؟

أجابه الغليظ في برود :

— قلت لك إنه هناك ما يعطله ياسنيور (موريس) .

ثم عاد يتسم ابتسامته المقيتة ، مستطرذا :

— أتحب أن تتحدث إليه ؟

هتف (موريس) في لهفة :

— بالطبع .

انخرط الغليظ بالسيارة إلى جانب الطريق ، وأوقفها وهو

يلتقط مسماع اللاسلكي في بساطة ، ويضغط زر الاتصال ،
قائلًا :

— سنيور (بانشو) .. سنيور (موريس) يَؤُذُ التحدث

إليك !

ارتفع صوت (بانشو) ، وهو يقول :

— لا بأس .. صِلني به .

اختطف (موريس) مسماع اللاسلكي ، وهتف في لهفة ،

وقد بثَّ صوت (بانشو) في نفسه الطمأنينة :

— مرحبًا ياسنيور (بانشو) .. أنا (موريس) .

أناه صوت (بانشو) هادئًا ، وهو يقول :

— كيف حالك يا عزيزي (موريس) ؟ ، وكيف حال
هيئة الطاقة الذرية في موطنك ؟

أجابه (موريس) :

— في خير حال ياسنيور (بانشو) .. إنهم يجرون اليوم
بضع تجارب حول

قاطعه (بانشو) :

— اسمع يا عزيزي (موريس) .. هناك مشكلة ..

ازدرد (موريس) لعبه في توثر ، وهو يقول :

— أية مشكلة ياسنيور (بانشو) ؟

أجابه (بانشو) في هدوء :

— لقد وافق (الموساد) على دفع مليار دولار ، مقابل تلك
التصميمات ، عن القنابل الذرية المحدودة التأثير .

تملئت أسارير (موريس) ، وهو يهتف :

— رائع ياسنيور (بانشو) .. رائع .

تابع (بانشو) وكأنه لم يسمعه :

— والواقع أنني أفكر في الاعتزال ، بعد إتمام هذه
الصفقة ، فلست أظن العمر كله يكفي لإنفاق مثل هذا المبلغ .

ازدرد (موريس) لعبه مرة أخرى ، وقال :

— ما المشكلة إذن ياسنيور (بانشو) ؟

قال (بانشو) في هدوء :

— المشكلة هي أنه لكي يتقاعد المرء ، فمن الضروري
الابتعاد خلفه ما يمكن أن ينقص حياته .

عقد (موريس) حاجبيه ، وحاول أن يزدرد لعبه الجفاف ،
وهو يتمم في تولر :

— ماذا تغني ياسنيور (بانشو) ؟

أناه صوت (بانشو) بارذا كاللج ، وهو يقول :

— إنني أعترف بأنك قد عاونتي طويلاً يا عزيزي
(موريس) ، وأنتى قد ربحت الملايين من تلك التصميمات ،

التي كنت تخلصها ، بين حين وآخر ، من هيئة الطاقة الذرية ،
ولكن مع تقاعدي ، تصبح أنت نقطة ضعف في ستار أمني .

شخب وجه (موريس) ، وهو يقول :

— ماذا تغني ياسنيور (بانشو) ؟ .. لقد كنت أخلص .

تلك التصميمات ، طيلة هذه السنوات ، وهذا يغني أنتى المتهم
الأوّل ، وأن أمنك يغني أمني ، و

قاطعه صوت (بانشو) الصارم :

— معذرة يا عزيزي (موريس) .. لقد درست الأمر ،
ووجدت أنه من المحتم أن تتقاعد أنت أيضاً .

هتف (مورييس) في ارتياح :
 — كما تأمر ياسنيور (بانشو) .. سأستقبل ، أو اطلب
 فصل ، أو
 قاطعه (بانشو) بصوته البارد كالثلج :
 — وداعاً يا عزيزي (مورييس) .
 اتسعت عينا (مورييس) في هَلَع ، وصرخ :
 — لا ياسنيور (بانشو) .. لا .. لا ..
 ثم استدار في رُعب إلى ذلك الغليظ ، الذي كان يتسم
 ابتسامته المقيتة ، التي تجعله أشبه بالشياطين ، والذي كان
 يصوب قُوَّة مسدسه إلى رأسه ، فصرخ (مورييس) في رعب
 هائل :
 — لا .. لا ..
 ونقلت موجات اللاسلكي إلى (بانشو) صوت رصاصة ،
 وصوت جمجمة بشرية تنهشم ، فقال غيَّر جهاز اللاسلكي في
 هدوء :
 — اغسل آثار الدم بارجل .
 وأنهى الاتصال بكل هدوء ، دون أن تنهز في جسده شعرة
 واحدة ..

عندما استدار (أدهم) يواجه (أنزيو) ورجاله ، كانت
 ثلاث عشرة دراجة بخارية تنطلق نحوه ، وفوقها ثلاثة عشر
 رجلاً ، يصوبون إليه مدافعهم الآلية ..
 وانطلق (أدهم) نحو السيارة ، وقفز داخلها ،
 والرصاصات تنطلق نحوه ..
 ثم انطلق بها ..
 لم ينطلق مبتعداً عن (أنزيو) ورجاله ، بل منقصاً عليهم ..
 واخترقت رصاصاتهم زجاج السيارة ، ومقرت إحداها إلى
 جوار أذنه ، ولكنه أطلق رصاصات مسدسه بذوره ..
 وسقط ثلاثة من رجال (أنزيو) ..
 وارتطمت سيارة (أدهم) بالرابع ..
 وانطلقت مبتعدة ..
 واستدار الرجال إليه ، وقائداهم يصرخ :
 — الحقوا به .. قاتلوه .. طاردوه .
 وانحرف (أدهم) في طريق جانبي ، وراح ينطلق بأقصى
 سرعة بين الصخور والرمال ..
 وفي أثناء انطلاقه ، كان يقوم بمعجزة ..
 كان يربط أجزاء مدفعه الآلي بعضها ببعض ..

وفجأة ، استدار يواجه الدراجات البخارية مرة أخرى ..
 وفي هذه المرة ، كان يملك مدفعا آليا .
 وانطلق (أدهم) نحو الدراجات البخارية ، وهو يقود
 السيارة يمينه ، ويطلق رصاصات المدفع الآلي يسراه في سماء
 مخيف ..

وحصدت رصاصاته خمسة من رجال (أنزيو) ، وأصاب
 ثلاثة بجراح خطيرة ، قبل أن يوقف سيارته ، ويهبط منها في
 هدوء ، ليواجه الزعيم ..

وأوقف (أنزيو) دراجته ، وراح يتطلع إلى عيني الرجل
 الذي هزم جيشه كله ، قبل أن يتم في ذهنه :
 — بهذه البساطة !؟

لم ينس (أدهم) بيت شقة ..

كان يصوب مدفعه إلى (أنزيو) ، ويتطلع إلى عينيهِ في
 برود ..

وعاد (أنزيو) يهتف ذاهلا :

— أهكذا ، وبكل بساطة ، تقضى على رجالى كلهم ؟ ..
 هل تعلم ما الذى فعلته ؟ .. لقد حطمت أخطر جيش خاص في
 المكسيك كلها .

ثم صرخ في ثورة :



لم ينس (أدهم) بيت شقة ..

كان يصوب مدفعه إلى (أنزيو) ، ويتطلع إلى عينيهِ في برود ..

— أيها الحقير .

وانطلق بدراجته نحو (أدهم) ..

وبقى (أدهم) ثابتاً ..

انتظر حتى صارت الدراجة على قيد متر واحد منه ، ثم قفز جانباً ، وأطلق قبضته في وجه (أنزيو) كالقنبلة ..

ولحيل لـ (أنزيو) أن صاعقة من صواعق الجحيم قد انقضت على وجهه ، فحطمت أسنانه ، وهشمت أنفه ، وشجّت فكّه ، ثم انزعته يد مارد من دراجته ، ورفعه عاليًا ، وضربت الأرض في قوة وقسوة وعنف ..

ودارت الأرض بالرجل ، وهتف :

— اللعنة !!

ثم سقط فاقد الوعي ..

وفي هدوء ، اتجه (أدهم) إلى دراجته ، والتقط مسماع جهازها اللاسلكي ، وضبط موجة الجهاز على موجة السفارة المصرية ، ثم ضغط زر الاتصال ، قائلاً :

— هنا النسر الشرق .. أريد التحدث إلى السفير على الفور .. حول .

أتاه صوت ضابط الاتصال بالسفارة المصرية ، وهو يقول :

— عرّف نفسك أيها النسر الشرق .. نريد مزيدًا من

التعريف .

قال في صرامة :

— صليبي بالسفير .. إنه أمر عاجل ، وسرّي .

مضت لحظات من الصمت ، قبل أن يأتي صوت السفير ،

هاتفاً :

— (أدهم) !.. أين أنت يا رجل ؟

أجابه (أدهم) :

— في الصحراء المكسيكية ياسيدي .

هتف السفير :

— إنني أشعر بقلق شديد عليك .. لقد اتصلت بمكتب مدير

المخابرات العامة في (القاهرة) ، وطلب مني أن

قاطعته (أدهم) في ضيق :

— لا عليك ياسيدي .. إنني أعرف ما أخبرك به ، و

انتفض جسد السفير ، عندما بتر (أدهم) عبارته بغتة ، مع ذوى رصاصة ، نقلتها إلى أذنه موجات اللاسلكي ، فهتف

السفير في جزع :

— (أدهم) .. ماذا حدث عندك يا ولدي ؟ .. ماذا حدث ؟

ولكنه لم يتلق جواباً ..

لم يتلق شيئاً قط ..

ارتسمت ابتسامة ظَفَر على شفתי (إفرايم) ، وهو يمسك سماعة الهاتف في لهفة ، ويقول :

— نعم ياسيدى .. سنصل مساء اليوم .. أريد أن يكون كل شيء جاهزًا .. نعم .. على الفور .
وأعاد سماعة الهاتف ، ليلتفت إلى زميله (جوليات) ، هاتفا في سعادة :

— لقد أعددت كل شيء يارجل .. ألم أقل لك ؟ عقل هذا يحمل حلًا لكل مشكلة في الوجود .
عقد (جوليات) حاجبيه ، وكأنما لا يقتنع بما يقوله زميله ، وهو يغمغم في توثر :

— ماذا فعلت بالضبط ؟

أشار (إفرايم) إلى رأسه ، قائلاً في فخر :

— لقد استغللت كل اتصالاتنا السابقة يارجل .. تمامًا كما علمونا .. أراهنك أنه لم يخطر ببالهم قط أن نستغل ما لقنونا إيّاه ، لنسرقهم .

ثم توقف ، وأخذ يقول في انفعال :

— لقد اتصلت بجراح تجميل عالمي في (سويسرا) ، واتفقت معه على أن يُجرى لنا عمليتي تجميل ، مساء اليوم ، في (لوزان) ، تتغير بعددهما ملامحنا تمامًا ، مقابل مليون دولار ، واتصلت بخبير تزوير فرنسي ، وطلبت منه أن يلتقي بنا في (لوزان) ، لينحنا هويّتين جديدتين ، بأية جنسية نرغب فيها ، وجوازي سفر زائفين ، يحملان صورتين لنا ، بعد أن تجري عمليتي التجميل ، أما بالنسبة للسفر ، فلقد حجزت تذكريتين في طائرة (سويسرا) ، بعد خمس ساعات فحسب ، وخلال هذه الفترة سندهب إلى سفارتنا ، ونحصل على صندوق النقود ، مع جوازي سفر ديلوماسيين ، يمنعان رجال الجمارك من تفتيش الصندوق ، ومعرفة محتوياته .

ثم (جوليات) في قلق :

— وماذا عن انتقام مخبراتنا ؟

أطلق (إفرايم) ضحكة عابثة ، وقال :

— لكي يتقموا منا ، لابد أن يعثروا علينا أولاً ، وسيكون من المستحيل أن يفعلوا ، وهم يجهلون اسمينا الجديدين ووجهينا .

غمغم (جليات) :

— سيعلمون وجهتها على الأقل ، وسيساعدتهم هذا على التوصل إلينا .

عقد (إفرام) حاجبيه مفكراً ، ثم قال في حزم :

— سأبدل خطط السير إذن ، فنذهب إلى (فرنسا) أولاً ، حيث نحصل على جوازين مزورين ، نتطلق بهما إلى (سويسرا) ..

وأضاف وهو يربّت على كتفه في حرارة :

— اطمئن يا رجل .. لكل مشكلة حل .. لكل مشكلة حل ..

* * *

عندما اقتحم (بانشو) حجرة (منى) هذه المرأة ، كانت عيناه تألّقان ظفراً ، حتى أنها شعرت بالقلق ، وهي تغمغم في تولد :

— حسناً .. ماذا هناك ؟

جلس فوق مقعد صغير ، في مواجهة فراشها ، وقال مبتسماً :

— لقد اتصل بي سفيركم .

عقدت حاجبها ، مغممة في خيرة :

— سفيرنا ؟

أوماً برأسه إيجاباً ، وقال :

— إنه يطلب التفاوض معي .

ازداد انعقاد حاجبها ، وهي تقول :

— أى تفاوض ؟

بدت ابتسامته خبيثة كالغالب ، وهو يجيب :

— يقول إنه يريد التفاوض معي ، بشأن الصفقة .

هتفت دون وعي :

— وماذا عن (أدهم) ؟

اتسعت ابتسامته ، وهو يتجاهل سؤالها ، قائلاً :

— والسفير يطلب السماح له بالجيء إلى هنا ، للتفاوض .

لم تكذب سمع عبارته ، حتى قفزت إلى رأسها فكرة ، جعلت

عينها تألّقان ببريق قوي ، لاحظته (بانشو) على الفور ، فقال

في لجث :

— أنا أيضاً أدركت ذلك .

عقدت حاجبها ، في محاولة لإخفاء بريق عينها ، وهي

تقول :

— أدركت ماذا ؟

أجابها بابتسامة مأكرة :

— أدركت موطن الاحتيال .

ونفض من مقعده ، قبل أن تبس بحرف واحد ، مستطرذا :

— لقد نسى مستر (أدهم) أنني أملك ملفاً كاملاً عنه .

ثم رفع سبائته أمام وجهه ، مردفاً في سخرية :

— وأنتى رجل ذكى .

عقدت ساعديا أمام صدرها ، وهى تقول في جدّة :

— وماذا ستفعل أيها الرجل الذكى ؟ .. هل سترفض

التفاوض معه ؟

رفع حاجبيه في دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

— أرفضها ؟

ثم لوّح بذراعه كلها ، هاتفاً :

— مستحيل يا آنسى .. سأقبلها بالطبع .. سأقبلها دون

قيد أو شرط .

ومال نحوها ، مستطرذا في جدل :

— بل سأرسل (ألفريدو) باغليوكوتتر الخاصة ،

لإحضاره إلى هنا .

وضرب سبائته بإبهامه ، مستطرذا :

— ثم

وأطلق ضحكة عالية شرسة ، جعلت (منى) تبتف :

— هل ستقتل السفير ؟

استدار إليها هاتفاً :

— السفير !؟ .. لا تجعلين أبكى يا عزيزتى .. أنت تعلمين

جيّداً من سأقتل .

ومال نحوها مرّة أخرى ، مستطرذا في همس ساخر :

— إنه ليس السفير .

ثم أطلق ضحكة عالية ..

ضحكة شيطانية ..

جلس (إفرام) و (جوليات) هادئين ، أمام سفيرهما ،

الذى راح يدير عينيه بين وجهيهما لحظات ، ثم قال بابتسامة

هادئة :

— إذن فأنتا تريدان الصندوق ..

أجابها (جوليات) ، وهو يتحاشى النظر إلى عينيه :

— إننا نحتاج إليه بالضرورة ل

قاطعه (إفرام) في حزم :

— معذرة يا سيادة السفير .. لن يمكننا إخبارك بالسبب .

مطُ السفير شففيه ، وأوماً برأسه متفهماً ، وهو يغمغم :

— بالطبع .. إننى أقدر ذلك .

ابتسم (إفرام) ، وهو يقول :

— هذا عظيم .

ثم عاد يستطرد في حزم :

— والآن هلاً أعطيتنا الصندوق ؟

أجابهُ السفير :

— بالطبع .

ثم نهض إلى خزانته الخاصة ، وأدار أرقامها السريّة ، ثم فتح

بابها ، والتقط الصندوق من داخلها ، ومدّ يده به إلى

(إفرام) ، الذى همّ باختطافه في لحظة ، لولا أن استعاده

السفير بحركة حادّة ، جعلت (إفرام) يبتف في عصيّة :

— ماذا هناك ؟

ابتسم السفير في هدوء ، وهو يقول :

— ستوقعان إيصالاً بتسلمه أوّلاً .. أليس كذلك ؟

هتف (جوليات) :

— بالطبع .

والتقط الورقة والقلم ، اللذين قدمهما له السفير ، ووقع

الإيصال في سرعة ، ثم ناوله إلى (إفرام) ، الذى وقّعه ، دون

أن يقرأ حتى محتوياته ، في حين اختطف (جوليات)

الصندوق ، وضعه إلى صدره في لفّة ، وهرى يبتف في انفعال .

— شكراً يا سيّدى .. شكراً .

ونهض الاثنان في سرعة ، وانصرفا دون أن يضافحا

سفيرهما ، الذى تابعهما ببصره ، وهو يتسم في هدوء ، ثم ألقى

نظرة على الإيصال ، وابتسم ابتسامة واسعة ، مغمغماً :

— رحلة موفقة أيها السيّدان .. مع تحياى .

وعاد يتطلّع إلى الإيصال ، وابتسامته تتّسع ..

وتتّسع ..

وتتّسع ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثالثة وعشر دقائق عصرًا ،

عندما بلغت هليوكوبتر (بانشو) الخاصة ذلك التلّ ، ذا القمة

المسطّحة ، وراحت تُحوم حوله في هدوء ، حتى انشقت قمته

إلى نصفين ، فهبطت الهليوكوبتر داخله ، واستقرّت فوق



ثم هبط منها (ألفريدو) ، بقميصه الفضفاض ، ومنظاره الداكن ،
وشعره الذهبي الناعم ..

مهبطها الخاص ، وتوقفت مراوحها عن الدوران في بطن ، ثم
هبط منها (ألفريدو) ، بقميصه الفضفاض ، ومنظاره
الداكن ، وشعره الذهبي الناعم ، واتجه إلى حيث يقف
(بانشو) ، الذي سأله في حزم ، وهو يتطلع إلى الهليوكوبتر ،
حيث جلس السفير :

— هل تأكدت من أن أحدا لا يتبعك ؟

أجابه (ألفريدو) ساخرا :

— ألم تأكد راداراتكم من ذلك ياسنيور (بانشو) ؟

أجابه (بانشو) في صرامة :

— بالطبع ، ولكن هذا لا ينفى حقى في أن ألقى عليك أى

سؤال يروق لى .

أوما (ألفريدو) برأسه ، وقال :

— نعم .. هذا حقك ..

ثم أشار إلى حيث يجلس السفير ، مستطردا :

— إننى واثق من أن شيئا لم يتعقبنا ، ومن أن هذا الرجل

لا يحمل أية أجهزة لاسلكى ، فلقد فحصته بذلك الجهاز

الخاص ، ثم إننى أخفيت عينيه بتلك العصاية السوداء ، منذ

غادرنا معا سطح سفارته ، فى هذه الهليوكوبتر ، وأقسم لك

إن أحدا لم يقرب من الهليوكوبتر ، مما ينفي تمامًا أى احتمال لدس
أى جهاز لاسلكى فيها .. هل اطمأنت الآن ياسنيور
(بانشو) ؟

غمغم (بانشو) فى صرامة :

— بعض الشيء .

ثم عاد يلقي نظرة على السفير ، الذى جلس ساكنًا ،
وأضاف :

— أحضر هذا الرجل .

غمغم الطيار :

— سيقا وطاعة .

وعاد إلى الهليوكوبتر ، وقال السفير المعصوب العينين منها
إلى (بانشو) ، الذى تفحصه ببصره فى اهتمام ، قبل أن يسأله :
— أنت السفير المصرى ؟

تصيح السفير المصرى ، وأجابته فى هدوء :

— إنه أنا ياسنيور (بانشو) ، وأظن مظهرى سيختلف
تمامًا ، من دون تلك العصاة السوداء ، فهذه أول مفاوضات
أجريها معصوب العينين .

اجتم (بانشو) ، قائلًا :

— لن يستمر هذا طويلًا .

ثم أشار إلى (ألفريدو) ، مستطردًا :

— ارفع العصاة يارجل .

رفع (ألفريدو) العصاة عن عيني السفير ، الذى تطلع
إلى (بانشو) فى اهتمام ، ثم أدار عينيه حوله فى انبهار ، هاتفاً :

— أنت تملك مركزًا رائعًا ياسنيور (بانشو) .

اجتم (بانشو) فى زهو ، وقال :

— إنما هو مكان متواضع ياسنيور .

ثم أشار حوله ، مستطردًا :

— هذا مهبط الهليوكوبتر ، وستجد حوله أجهزة الرادار
والمراقبة ، وعدداً من أجهزة الكمبيوتر ، الخاصة ببيع أى
دخيل .

واتسعت اجسامته ، وهو يضيف :

— ألبعنى أرجوك .

تبعه السفير و (ألفريدو) فى هدوء ، حتى بلغ تلك
الحجرة ، الخاصة بأجهزة الكمبيوتر ، وقال :

— هذه هى حجرة المفضلة ، فهى تحوى أعطر أجهزة
الكمبيوتر ، وأكثرها حداثة ، وأحدها هو الذى كشفت به أمر
رجلكم ، بعد أقل من ساعة ، من وصوله إلى (مكسيكو) .

ابسم السفير في هدوء ، وهو يقول :
— هذا عظيم .

ثم استدرك في اهتمام :

ولكن ألا ينبغي أن نناقش صفقتنا أولاً ؟

تألفت عينا (بانشو) بريق خفيف ، وهو يقول :

— ليس الآن ياسيدى .. ليس قبل أن تتضمن مواطنتك

إلينا .

عقد السفير حاجية ، وهو يغمغم :

— مواطنتى ؟

أجابه (بانشو) :

— بالطبع .. هل نسيها ؟

ثم أشار إلى باب الخجرة ، فالتفت السفير و (ألفريدو)
بدورهما إلى حيث أشار ، وبدت لهما (منى) مُحَنِّقَةً ، تتطَلَّع
إليهما في توثر ، فابتسم (بانشو) ، وهو يقول لها :

— مرحباً يا عزيزتى .. معذرة لأننى قد انتزعتك من
فراشك ، ولكنى رأيت أنك ستسعين بمقابلة هذا الرجل .
وأدار عينيه إلى السفير ، مستطرداً :
— الذى يلدغنى .

وعلى الفور ، ارتفعت لَوَّهَات خمسة مدافع آلية نحو
السفير ، الذى تراجع في حِدَّة ، هاتفاً :

— ما هذا ياسنبور (بانشو) ؟ ما الذى تقصده
بالخداع ؟ .. إنا حتى لم نبدأ التفاوض بعد .

تألفت عينا (بانشو) ، واتسعت ابتسامته في دهاء ، وهو
يقول :

إننى أقصد خداع الشخصية أيا السفير .. أم هل أقول
يا (أدهم صبرى) ؟

وحقق قلب (منى) بين ضلوعها في قوة ..
وأدركت أنه على حق ..



١٠ - المفاجأة ..

احتضن (جوليات) صندوق النقود في لففة ، وهو يهتف بصوت خافت :

— لست أصدق !.. لقد أصبحنا غلثك مليار دولار دفعة واحدة ، ولقد غبنا بها الجمارك ، ولم يجزؤ أحد على لمسها ، مجرد أنها تحمل اسم (الحقيبة الدبلوماسية) .

تألفت عينا (إفرام) في شراة ، وهو يقول :

— ألم أقل لك يا رجل .. عقل هذا يحمل قدرًا هائلًا من العبقرية ؟ ستأخذ مقعدينا في الطائرة بعد دقائق ، وعندئذ نكون قد نجحنا .

هتف (جوليات) في لففة :

— هل ألقى نظرة عليها ؟

أجابه (إفرام) في صرامة :

— ليس الآن يا رجل .. انتظر حتى نركب الطائرة ، واملأ عينيك بها كما تشاء .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى ارتفع النداء ، يطالب ركاب

طائرة (باريس) بالتوجه إليها على الفور ، فهب (جوليات) من مقعده ، هاتفا في لففة :

— هيا .. لم أعد أحمِل .

انطلقا معًا إلى الطائرة ، ولم يكذب (جوليات) يتخذ مقعده فيها ، حتى هتف في لففة :

— هل ألقى نظرة عليها الآن ؟

ابتسم (إفرام) ، قائلاً :

— يالك من طفل كبير !!

ثم أضاف مبتسمًا :

— لا بأس ، فلنلق عليها نظرة سريعة معًا .

أسرع (جوليات) بحل قفل الصندوق في لففة وسرعة ، ثم رفع غطاءه ، و

وتجمدت الدماء في عروقهما ..

وجحظت عيونهما في دُهول ..

لقد كان الصندوق لا يحوى قطعة نقد واحدة ..

كان مكسبًا بالأوراق البيضاء ..

فقط أوراق بيضاء ..

وهتف (جوليات) في دُهول ومرارة :

— يا للشيطان !! ما هذا ؟

أجابه (إفرام) فى انهيار :

— أوراق بيضاء يارجل .. فقط أوراق بيضاء .

هتف (جوليات) ، وقد هزته المفاجأة حتى النخاع :

— كيف ؟! لقد كان الصندوق مكتظاً بأوراق النقد

الخضراء ، عندما جئنا به من (تل أبيب) ، فماذا أصابه ؟

المحذرت دموع القهر والمرارة من عيني (إفرام) ، وهو

يقول :

— السفير يارجل .. لقد فعلها السفير .

حدق (جوليات) فى وجهه ، وهو يغمغم فى ذهنه :

— السفير ؟!

أجابه (إفرام) ، وهو يخفى وجهه بكفيه فى ألم :

— نعم يارجل .. فعلها السفير .. لقد أعذ غطته فى براعة

منقطعة النظر .. لقد استولى على النقود ، ووضع الأوراق بدلاً

منها ، ثم جعلنا نوقع على إيصال بتسلم الصندوق ، بكل

ما يحويه ، وأراحتك أنه قد أبلغ (الموساد) الآن بأنه يشك

فى أمانتنا .. لقد أعدها بكل براعة .

شحب وجه (جوليات) ، وهو يقول فى هلع :

— أنفنى أنه هو سيحصل على النقود ، فى حين ستهم نحن

بسرقتها ؟

أوماً (إفرام) برأسه إيجاباً فى انهيار : فاستطرد

(جوليات) فى رعب :

— وسيطلقون كل قتلهم خلفنا ، فى كل أنحاء المعمورة .

غمغم (إفرام) :

— وسيعثرون علينا حتماً .

ازداد شحوب وجه (جوليات) ، وهتف :

— اللعنة !.. اللعنة !

ثم اعتدل مستطرداً :

— ولكننا سنذهب إلى (سويسرا) ، وسنبذل ملاحنا ،

و

قاطعه زميله فى مرارة :

— هذا يحتاج إلى مليون دولار .. هل تذكر ؟.. من أين لنا

بها ؟.. من أين ؟

اتسعت عينا (جوليات) فى رعب ، وغمغم :

— أنفنى هذا أنا قد انتهينا ؟

أوماً (إفرام) برأسه فى انهيار ، وهو يقول :

— نعم .. لقد انتهينا .. لقد خسرنا المليار دولار ..

وانحدرت دمة ضخمة من عينيه ، وهو يستطرد :

— وحياتنا ..

وأقلت بهما الطائرة ..

اتسعت عينا السفير في دهشة وخوف ، وهو يحدق في وجه

(بانشو) ، هائفاً :

— (أدهم صبرى) ؟! .. ما الذى دعاك إلى هذا

القول ؟! .. إننى لست (أدهم صبرى) .. لقد لقي (أدهم

صبرى) مصرعه .

اتسعت عينا (منى) ، وهى تهتف في دُعر :

— لقي مصرعه ؟!

أما (بانشو) ، فقال في صرامة :

— لا تحاول خداعى أيها الشيطان المصرى أنا أعلم أنك

(أدهم صبرى) .. لقد راجعت ملفك جيداً ، وعرفت منه

أنك تجيد التكرار ، كما لا يبيده مخلوق آخر في الكون ، وعندما

اتصلت فى هائفاً ، أدركت على الفور أنك لست السفير ، فلقد

كانت لخدعة سخيفة ، لتصل إلى وكرى ، وتربح الرهان ،

ولكنك لا تغد رابحاً الآن ، فأنا جعلتك تصل إلى وكرى ،

لأقتلك .

هتف السفير :

— ولكنى لست (أدهم صبرى) ، حقاً .. لقد لقي هذا

الأخير مصرعه في الجبال ، فقد لكم (أنزيو) ، وظنه لاقط

الوعى ، وتحدث إلى بواسطة الأسلكى ، وبينما كان يفعل ،

استعاد (أنزيو) وعيه ، وأطلق عليه النار ، فأرداه قتيلًا .

شبهت (منى) في قوة ، وهتفت :

— لا .. مستحيل !

أما (بانشو) ، فعقد حاجبيه ، مغمغماً :

— قصتك تبدو معقولة ، ولكن

بدت الصرامة في ملامحه ، وهو يستطرد :

— ولكن كيف عرفت ما حدث ؟

ارتبك السفير ، وغمغم :

لقد عرفت .. أغشى

قاطعه (بانشو) في ظفر :

— أرايت ؟! .. لقد خبِرت يارجل .. أنت (أدهم

صبرى) .. أنت .

ثم انتزع مسدسه ، وهتف في نشوة :

— وسأحظى أنا بشرف قتلك ، يامن عجزت أغشى

منظمات العالم عن التخلص منك .. أنا سأفعلها ..

وانطلقت رصاصة ..

رصاصة أصابت هدفها تمامًا ..

لو أننا رتبنا الذُّهول ، الذى أصاب من كانوا فى المكان .
فسقول بكل ثقة ، إن صاحب النصب الأكبر منه لم يكن سوى
(بانشو) ..

نعم ..

(بانشو) ..

لقد كان يَصُوب مسدسه إلى صدر السفير . عندما انطلقت
الرصاصة ..

لم تنطلق من مسدسه هو ..

بل من مسدس (الفريدو) . لتطيح بمسدسه . هو ..

وفى سرعة مذهلة ، كان (الفريدو) ينقض عليه ، ويحيط
عنقه بذراعيه ، ويقول فى سُخْرية صارمة :

— أخطأت أيها الوغد .. ليس الصغير هو (أدهم

صبرى)

ثم انتزع قناعاً رقيقاً عن وجهه ، وهو يستطرد :

— أنا (أدهم صبرى) .

اتسعت عينا (بانشو) وجحظتا فى دُھول ، وتأوّه ألماً ،
عندما لوى (أدهم) إحدى ذراعيه خلف ظهره ، والصق
فؤوه مسدسه برأسه ، وهو ينطق عبارته الأخيرة ، فى حين
هتفت (منى) فى سعادة :

— (أدهم) .. حمداً لله .. كنت أعلم أنك ستريح ..
كنت أعلم ذلك .

ابتسم وهو يقول فى هدوء :

— شكراً لتفتك يا عزيزتى .. هيا .. نحذى أحد أسلحة
هؤلاء الأوغاد ، الذين يحذقون فى وجهى بذهُول ، وصُوبِيه
إليهم .

وشدّد من ضغطه على ذراع (بانشو) ، مستطرداً فى
صرامة :

— وسياُمرهم زعيمهم الوغد هذا بالاستسلام .

هتف (بانشو) فى ألم :

— ألقوا أسلحتكم يا رجال .. أطيعوا الأمر .

تردّد الرجال لحظة ، ثم ألقوا أسلحتهم فى غيظ ، فأسرعت
(منى) لتلقط مدفعاً آلياً ، وهى تهتف :

— ما قصّة (أنزير) هذا إذن ؟

أجابها السفير ، وهو يلتقط مدفقا ثانيا ، ويتسم قائلا :
— نصفها حقيقي ، فعندما كان (أدهم) يتحدث إلى ،
استعاد (أنزيو) وعيه ، ولكن (أدهم) انتبه إليه ، وأطلق
عليه رصاصته ، فأرداه قتيلا ، وبعدها اتفق معي على هذه
الخطة .

ابتسم (أدهم) ، وقال وكأنه يؤجّه حديثه إلى (بانشو)
وحده :

— كنت أعلم أنك قد راجعت ملفي كله أيها الوغد ،
وأنت تشك في أن هذا السفير هو أنا متتكررا ، وأن غرورك
سيدفعك إلى إرسال طيارك الخاص لإحضاره ، مع اتخاذ كل
الاحتياطات اللازمة ، فانتظرت سنين (ألفريدو) الوغد في
السفارة ، وعندما وصل ، حطمت فكّه بلكمة واحدة ،
وصنعت قناعا لوجهه ، وأظنك تعرف البقية .

هتف (بانشو) في غضب ، وهو يعصّ شفتيه غيظا :

— ولكنك لم ترح بعد .. إنك لن تغادر هذا الوكر حيا .

ضغط (أدهم) ذراعه في قسوة ، وهو يقول :

— المهم أن تعطيني التصميمات أولا أيها الوغد ، وبعدها

سنناقش هذا .

قال (بانشو) في جدّة :

— إنها هناك .

أجابه (أدهم) في صرامة :

— أين أيها الوغد ؟

أشار (بانشو) إلى جهاز قريب ، وقال :

— هناك .. في هذا الجهاز .. اضغط ذلك الزر الأحمر ،

وستجدها أمامك .

دفعه (أدهم) نحو الجهاز ، قائلا في صرامة :

— اضغطه أنت أيها الوغد ..

مدّ (بانشو) يده الحرة ، وضغط الزر الأحمر ، فأضاء

مصباح صغير أعلى الجهاز ، وتألقت معه عينا (بانشو) ، وهو

يتف :

— خسرت يارجل .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :

— ما الذي ثغبيه أيها الوغد ؟

هتف (بانشو) في لهجة أقرب إلى الجنون :

— بالضغط على هذا الزر ، اشتعل جهاز تفجير قوى ،

يضم أكثر من مائتي قبلة ، موزعة في كل أنحاء المكان ، وبعد

تشغيله بخمس دقائق فقط ، سيفجر المكان كله .. وداعا

يا (أدهم صبرى) .. وداعا للجميع .

وراح يطلق ضحكات شيطانية جُنونية .

لم يكذب (بانشو) ينطق عبارته ، حتى تجمّدت الدماء في عروقي الجميع ، فيما عدا (أدهم) ، الذي هتف :
— أيها الوغد .

ثم دفعة أمامه في عنف ، وانحنى يلتقط مدفعا آليا ، وهو يهتف في وجوه رجاله :

— ابتعدوا .. فليبتعد من يرغب في النجاة منكم .
انطلق الرجال يُهزّولون في رُعب ، فالتفت (أدهم) إلى (منى) والسفير ، هائفاً :

— إلى الهليوكوبتر ، بسرعة .
صاح (بانشو) في جُتون ، و (أدهم) يدفعه أمامه في قسوة :

— لن تفلح .. لن تغادر هذا المكان حيّاً .
انطلق الثلاثة ، و (أدهم) يدفع (بانشو) أمامه ، نحو الهليوكوبتر ، الراضة في مهبطها الخاص ، وسط هرج رهيّب ساد المكان ، وصرخ (بانشو) :

— اقلّوهم يارجال .. اقلّوهم .

وعلى الفور ، راح (أدهم) و (منى) والسفير يطلقون النيران على كل من يعرض طريقهم من رجال (بانشو) ، وهذا الأخير يواصل صرخاته الجُتونية ، حتى بلغوا الهليوكوبتر ، فأشارت (منى) إلى السقف ، هائفة في جُرْع :
— السقف يا (أدهم) .. إنه مغلق .

صاح بها في صرامة :
— إلى الهليوكوبتر أيتها النقيب .. هذا أمر .
هتفت في توتر :
— والسقف !؟

صاح :
— إلى الهليوكوبتر .
انطلقت إلى الهليوكوبتر ، وقفزت داخلها ، وقفز السفير إلى جوارها ، وهو يقول في توتر :
— هل تحيدين القيادة ؟

أجابته في توتر مماثل :
— إلى حدّ ما .
ثم أدارت عينها إلى (أدهم) ، الذي يواصل إطلاق النار في بسالة ، وهي تستطرد في حزم :

— ولكننا لن نقلع ذونه .

كان (أدهم) يدفع (بانشو) أمامه يسراه ، ويطلق النيران في غزارة يميناه ، وهو يشق طريقه إلى أجهزة التحكم ، و (بانشو) يواصل صراخه :

— لن تفلح .. لن تغادر المكان حيًا .

ولكن (أدهم) بلغ أجهزة التحكم ، وضغط كل الأزرار ، حتى انفتح السقف في بطاء ، فاستدار ليعود إلى الهليكوبتر ، ولكن

أصابته بفتحة رصاصة في كتفه اليسرى ، وأطلق (بانشو) ضحكة جنونية ، وهو يصرخ :

— لن تفلح .. ستموت هنا .. ستموت جميعًا هنا .

رفع (أدهم) عينيه إلى الهليكوبتر ، ورأى رجال (بانشو) يهيمون ببلوغها ، وهم يصنعون بأجسادهم حاجزًا بينه وبينها ، والوقت يمضي في سرعة ، فصرخ :

— انطلق يا (منى) .. انطلق .

صرخت في مرارة :

— لا .. لن نقلع ذونك .

أطلق رصاصاته نحو الهليكوبتر ، صارخًا :

— انطلق .. هذا أمر .

وهنا جذب السفير عصا القيادة ، هاتفًا :

— لقد قال انطلق .

وارتفعت الهليكوبتر في سرعة ، و (منى) تصرخ :

— لا يا (أدهم) .. لا ..

ولكن (أدهم) لم يسمعها ..

كان قد تحول إلى آلة لإطلاق النيران فحسب ..

آلة كل ما يهيمها هو أن تنجو (منى) ..

(منى) التي أحبها ، مثلما لم يحب في حياته كلها ..

(منى) التي ملكت قلبه ..

ولقد تحولت رصاصاته إلى نيران تلتهم أعداءه ، قبل أن

يرفعوا قوّهات مدافعهم إلى الهليكوبتر ..

ولقد أدرك رجال (بانشو) أنه لا طائل من وراء القتال ..

أدركوا أن القضاء على (أدهم) مستحيل ، لأنه يحمي

بجسد زعيمهم ، ولأن المكان كله سيفجر بعد قليل ..

وانطلقوا جميعًا يسعون للفرار ..

وتوقف القتال ..

وأدار (أدهم) (بانشو) إليه ، وصرخ في وجهه في

صرامة :

— اسمع أيها الوغد .. الأثانيون أمالك لا يخططون
للانتحار على هذا النحو .. هناك حتماً مخرج من كل هذا ..
أين هو ؟

أطلق (بانشو) ضحكة شيطانية مجنونة ، وهو يصرخ :
— لم تُعد مشكلة مخرج أيها الشيطان .. لقد أصبحت
مشكلة وقت .. لن ينجو أحد منا .. لقد ربحت أنت المعركة ،
ولكننا سنقضى معا .

وفي لحظة واحدة ، دار شريط سريع ، في رأس (أدهم) ..
كل معاركه ..

كل محصومه ..

كل أصدقائه ..

(قدرى) ، وشقيقه (أحمد) ..

(حازم) ، و (سمير) ..

(المافيا) ، و (الموساد) ..

(مكوريون) ..

وحتى (سونيا جراهام) ..

وأخيراً ، انزاحت كل الصور ، لتحل عقله صورة
واحدة ..

صورة (منى) ..
وفي لحظة ، رفع عينيه ، يتطلع إلى الهليكوبتر التى تحملها ،
وهى تبعد ..

تبعد ..

تبعد ..

وفي الهليكوبتر ، كانت هى تصرخ :

— لا .. لن أتركه .. فلنعد إليه .. إنه هناك وحده .

ولكن السفير كان يشتت بعضا القيادة ، صائحا :

— هل جُئْتِ .. ألم تسمى (بانشو) ؟ .. المكان كله

سينفجر بعد لحظات .

صرخت فى لوعة :

— وماذا عن (أدهم) ؟ .. ماذا عنه ؟

لم تكذب ثم عابها ، حتى انفجر وكر الإرهاب ..

انفجاراً هائلاً رهيباً ..

انفجاراً أعلن انتصار (أدهم) ..

فقط انتصاره ..

حتى ولو كان قد قضى نحبه ، فقد انتصر ..

وتجمّدت نظرة (منى) لحظة ، ثم تجمّعت كل مشاعرها

فى قلبها ، فانتفض ..

انتفض كما لم ينتفض من قبل ..

ونحوّلت انتفاضته إلى دمعة كبيرة ، تكوّنت في عينيها
المتحجرتين ، قبل أن تنفجر كل انفعالاتها في حلقها ، في صرخة
واحدة :

— (أدهم) ..

وانفجرت مع صرختها دموعها ، وراحت تهتف في
النيار ..

— مستحيل !.. إنه لم يمُتْ .. سينجو .. لقد نجا مما هو
أشدّ هولاً من قبل .

ثم التفت إلى السفير ، وتشبّثت به ، هائفة :

— إنه سينجو .. أليس كذلك ؟ .. سينجو .

تجمّعت في عيني الرجل دمعة أسمى ، وتطلّع إلى وكر
(بانشو) ، الذي حوّله الانفجار إلى أثر بعد عين ، وغمغم
في مرارة :

— ينجو !؟

صاحت وهي تنهار في مقعدها :

— نعم سينجو .. لن يموت (رجل المستحيل) هكذا ..

لن يموت ..

وأمام الشهيد ، الذي لا يحتمل مجرّد الشك ، غمغم
السفير ، ودموعه تَزْوي ما يجُول في أعماقه ، والهلوكوبتر
تواصل طريقها نحو شاطئ النجاة :

— مَنْ يدري يا بنتي ؟ .. مَنْ يدري ؟ ..

نعم ..

مَنْ يدري !؟ ..

[تحت بحمد الله]